# منبر الإسلام

دينية . اجتماعية . ثقافية

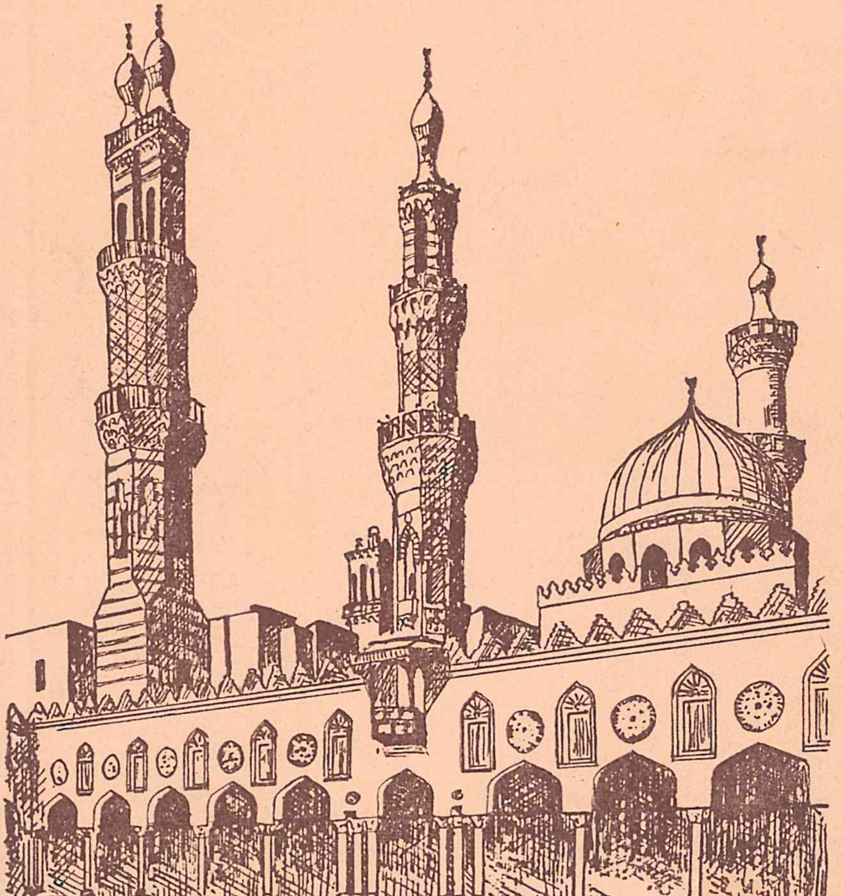

العدد الثانى ( غرة صفر سنة ١٣٧٦هـ — ٦ سبتمبر سنة ١٩٥٦ ) السنة الرابعة عشرة

العدد الثانى

بسم الله الرحمن الرحيم

السنة الرابعة عشرة

المدير ورئيس
التحرير
البهى الخولى

الإدارة
بوزارة الأوقاف
تليفون ٢٠١٢٠

# منبر الإسلام
## مجلة المساجد
### دينية ثقافية

تصدر مع غرة كل شهر عربى

الاشتراكات
لمدة سنة
ـــــ
٤٨ داخل القطر
٦٠ خارج القطر
للطلبة والعمال
بنصف القيمة

غرة صفر سنة ١٣٧٦ هـ — ٦ من سبتمبر سنة ١٩٥٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

هداية القرآن :

## الثقة بالأعداء مطية الهلاك

« لفضيلة الأستاذ أحمد حسن الباقورى وزير الأوقاف »

« يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ، وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم ، يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » .

***

فى المدينة النبوية الشريفة أوائل قوة الإسلام واستعلاء سلطانه ، كان جماعة من الأنصار فى مجلس من مجالسهم يتحدثون وقد ضحك البشر فى وجوههم وعقد الحب ما بين قلوبهم .

وكانت هذه الجماعة تتألف من نفر من الأوس وآخر من الخزرج فكان مما يسترعى النظر أن يطمئن القوم بعضهم إلى بعض ، وأن يتلاقوا هذا التلاقى الكريم دون أن يفصل بينهما ما كان خليقاً أن يفصل بينهما من ماض مفعم بالضغائن والآلام .

كان بين الفريقين فى الجاهلية القريبة والبعيدة حروب طاحنة ومعارك دامية ، ومنذ خمس سنين — قبل أن يقدم النبى مهاجراً من مكة — نشبت بينهما معركة بعاث ، تلك التى لم ينكشف غبارها إلا عن قتيل من أشرافهم أو جريح — ومع ذلك تطارح القوم أحقادهم ، وتناسوا أضغانهم حتى جلسوا مجلساً واحداً وجهاً إلى وجه وكتفاً إلى كتف .

وقد نجح الإسلام أقوى نجاح وأروعه فى حمل هؤلاء الناس على الفناء فيه ، و بذل الجهد فى إقامة دولته ، وأداء رسالته فنسوا به كل ما يتصل بحياتهم الجاهلية ، حتى لقد نسوا به عنوانهم القديم — الأوس والخزرج — فأعرضوا عنه واستبدلوا به عنواناً آخر أحب إليهم وأكرم عليهم فلم يعودوا يذكرون بغير الأنصار . وصدق الله العظيم حيث يقول « لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألَّف بينهم » .

غير أن من الناس من كان يضيق أبلغ الضيق بهذا الود الجديد بين هؤلاء الأنصار ، وكان يجهد أشد الجهد فى التفريق بينهم و إعادة الحرب فتنة فيهم فلم يدع وسيلة من وسائل الكيد ولا أسلوباً من أساليب الفتنة إلا لاذ به والتجأ إليه .

أولئك هم اليهود فى مدينة النبى لم تكن طبيعتهم لتأتلف إلا مع القلق الاجتماعى ولم تكن الحياة لتطيب لهم إلا فى أجواء دامية من الفتن والحروب فأجمعوا أمرهم على هدم الدين الوليد و إطفاء النور الجديد — وقد كادوا ينجحون لولا رعاية الله وعنايته .

مرَّ شاس بن قيس اليهودى على هذا المجلس من أصحاب رسول الله عليه السلام

فساءه أن يرى البشر يضحك فى وجوههم ، والسعادة تغمر مابين جوانحهم ، ثم أزعجه أن يرى هذين الفريقين يأتلفان هذا الائتلاف القوى حتى قال « ما لنا مع هؤلاء إذا اجتمعوا من قرار » وسرعان ما استوحى الرجل شر غرائز الشر فى نفسه فأوحى إلى شاب يهودى أيضاً أن يخلط نفسه بهذا المجلس ، وأن يعمل فى حكمة وحذر على توجيه الحديث فيه إلى الماضى الدامى حتى إذا أفلح فى ذلك ذكر انتصار الأوس على الخزرج وأنشد ماقال الشعراء فى هذا الانتصار — ومضى الفتى يفعل ما أمر به حتى إذا راح ينشد الشعر استيقظت فيهم طبيعة الشعر ، فاستمعوا ثم استيقظت فيهم طبيعة البشر فغضبوا ، ثم اشتد الغضب حتى تنادوا إلى العصبية الجاهلية ، فقال الأوسى يا آل أوس ، وقال الخزرجى يا آل خزرج — ولم يبق بد من أن يحكموا بينهم السلاح .

فى هذه اللحظة كان النبى فى مجلسه من أصحابه وانتهى إليه النبأ الأليم فخرج فيمن معه من صحابته حتى إذا أدرك القوم أرسلها كلمة رزاناً وقوراً أخذت على الفتنة سبيلها ، ورجعت بالحق إلى نصابه « أدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام وألف بينكم ؟ » وما إن استمع القوم إليها حتى تساقطت السيوف من أيديهم ، وأقبلوا بعضهم على بعض يتعانقون و يبكون .

وليس من شك فى أن النبى لو لم يكن حاضراً ذلك اليوم لاشتد ساعد الفتنة ، واستغلظ عود الشر ، ثم لتعرض الإسلام لأشد ما تتعرض له دعوة ناشئة من صنوف المحنة ، وألوان البلاء — ومن أجل هذا كان لا بد من توجيه سماوى يأخذ الطريق على هذا الكيد الذى يبيت للإسلام الشر ، و يتربص بالمسلمين الدوائر ، فنزلت هذه الآيات للماضى ذكرى وللمستقبل عظة وعبرة .

وقد حذر الله فيها المؤمنين أن يثقوا بأعدائهم أو يطمئنوا إليهم . و إلا فإنهم لا محالة عائدون إلى الكفر بعد الإيمان « يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين » .

ثم عجب الله أن يعود هؤلاء إلى الكفر ومعهم الرسول يرشدهم ؛ وفيهم القرآن

يهتف بهم إلى الإيمان « وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله » .

ثم أتبع حكمة لا ينازع فيها عاقل وهى أن من لاذ بالله ، والتجأ إليه تتضح غايته وتستقيم حياته « ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » .

ثم ناداهم بوصف الإيمان مرة أخرى ، وطلب إليهم أن يلزموا أوامره ، و يتخلوا عن نواهيه ، وألا يلقوه إلا مؤمنين مذعنين لرسوله « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » .

ثم ذكر الاعتصام مرة أخرى غير أنه فى هذه المرة لم يكتف بأن يرسله إرسال الحكم المسلم بها ، بل أمر به أمر صريحاً ، وطلب إليهم أن يستمسكوا أجمعون بالسبب الفرد الذى يربطهم بربهم حتى تظل جماعتهم متماسكة مصونة « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » .

ثم ذكرهم بما لا ينبغى أن يُنسى ، وهو أنهم كانوا متدابرين متقاطعين ، يتربص بعضهم ببعض و يضرب بعضهم رقاب بعض حتى أكرمهم الله بالإسلام وجمع به بين قلوبهم فتلاقوا بعد طول فرقة ، وتآخوا بعد شدة اختلاف «واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً » .

ثم امتن عليهم بأنه سبحانه قد أنقذهم وحال بينهم و بين السقوط فى الهاوية بعد أن لم يكن بينهم و بينها إلا أقصر المسافة « وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » .

وأخيراً بين لهم أن آيات عنايته بهم لاهدف لها إلاأن يلزموا سبيل ربهم، وأن يطيعوا أمر نبيهم « كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » .

***

ومن حق القرآن على الذين يتدبرونه أن يلاحظوا افتتاح هذه الآيات بهذا النداء الجميل « يأيها الذين آمنوا » — ثم من حقه عليهم أن يلاحظوا أن أساليب

النداء فيه مختلفة فمرة ينادى « يأيها الناس » وأخرى ينادى « يأيها الذين آمنوا » وثالثة ينادى « يا عبادى » ورابعة ينادى « يا نساء النبى » — ولكل لون من هذه الألوان ميزته التى تدعو إليه ، وتبعث على اختياره ، فإن كان الغرض الذى يطلبه القرآن مما يكفى فى الوصول إليه مجرد الإنسانية كان النداء « يأيها الناس » . و إن كان الغرض مما لا يكفى فيه مجرد الإنسانية ولكن يتوقف على الإيمان و يتأثر به : فالنداء « يأيها الذين آمنوا » و إن كان الغرض الإيناس وطمأنة النفس فالنداء « يا عبادى » و إن كان الغرض شدة الإزعاج إلى امتثال الأمر فالنداء « يا نساء النبى » .

وعلى هذا نقرأ قول الله تعالى : « يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد » فنرى أن هذه الحقيقة يكفى للتسليم بها وجود فطرة إنسانية سليمة ، و بهذا نادى القرآن « يأيها الناس » .

ونقرأ قوله سبحانه « يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم » فنرى أن هذه الوصايا لا يحفل بها إلا مؤمن يشفق على إيمانه ولهذا نادى القرآن « يأيها الذين آمنوا » .

ونقرأ قوله تعالى « يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله » فنرى أن الخاطئ كالمريض فى حاجة إلى طمأنة و إيناس حتى لا ينقطع عن ربه و ييأس من معاودة الصلة به ، ومن هنا كانت كلمة يا « عبادى » أحق الكلمات بهذا الموضع .

ونقرأ قوله عز وجل « يا نساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض » فنرى أن هذا النداء « يا نساء النبى » أقوى حافز لهن على التزام الحدود التى حددها لهن الإسلام من حيث كنّ فى مرتبة الصدارة ، وواجبات القائد دائماً أثقل من واجبات الجنود .

و إذن فقد أمر القرآن أنصار الرسول أن يحذروا الدساسين من اليهود ، وأن

يتقوا الله حق تقواه ، وأن يعتصموا بحبله جميعاً ولا يتفرقوا ، وأن يذكروا نعمة الله عليهم بإنجائهم من الفتنة و إنقاذهم من النار ، وهذه الأمور كلها لا تتأثر بها الإنسانية ، و إنما يتأثر بها الإيمان ، ولهذا آثر القرآن فى النداء « يأيها الذين آمنوا » دون « يأيها الناس » .

ثم إن الآية تقول « إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الـكتاب » ولم تقل إن تطيعوا جميع أهل الـكتاب ، فأشارت بذلك إلى أن أهل الـكتاب فريقان : فريق خبثت نفسه وفسدت طويته ، وفريق آخر سليم النية حسن الطوية — وذلك حق يقرره القرآن فى غير موضع منه فيقول الله تعالى فى هذا المعنى وفى معرض الحديث عن الأمانة والخيانة « ومن أهل الـكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك » وفى آية أخرى يصرح بأنهم غير متساوين، فيقول « ليسوا سواء من أهل الـكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون » فهذا هو الفريق الطيب . أما الفريق الخبيث فقد ذكرته آية قبل هذه فقالت عنه « يكفرون بآيات الله و يقتلون الأنبياء بغير حق » .

وأخيراً ، من حق القرآن على الذين يتدبرونه ألا يقصروا هذه الآيات على البيئة التى نبتت فيها ، ولا على المؤمنين الذين تنزلت عليهم ، فإن وصايا القرآن وتوجيهاته تعم المؤمنين جميعاً فى كل زمان وكل مكان ، و إنها اليوم لتهتف بهم أن يعدلوا من أساليب تفكيرهم ، وأن يعتصموا بحبل الله جميعاً ، وهم لا ينقصهم من مقومات الأمم العظيمة شىء إلا أن يؤمنوا ، وسوف يدفعهم الإيمان إلى العمل الحازم الجرىء .

والله يتولى الصالحين .

أسرار الشريعة

ثمرات . . من حقل الإسلام :

# الإسلام . . فى مجال السلم والحرب

الإسلام دين السلام . . إعترف له أعداؤه بذلك أم لم يعترفوا . . فتلك حقيقة أكبر من أن يقام عليها دليل ، أو يُطلب لها شاهد . . والحقيقة حين تبلغ هذا المدى ، وتصل إلى تلك الدرجة من الوضوح والظهور ، ثم يُمارى فيها مُمْتر ، أو يجحدها جاحد ، يكون من الخير الابتعاد بها عن مواطن الجدل ، ورفعها عن مجال الاختصام . . إذ أن الاحتجاج لها والاختصام فيها يُنزلها منزل الشك والارتياب .

فحين نقول إن الإسلام دين السلام ، إنما نقرر حقيقة راسخة . . يؤمن بها المسلمون ، ويعترف بها أولئك الذين يطلبون الحق ويؤثرونه من غير المسلمين . . وحسب الحق أن يجتمع عليه أهله ، وينتصر له أولياؤه ، ولا عليه أن يتنكر له الجاهلون ، ويجحده الجاحدون .

على أن من نظر نظرة فى تعاليم الإسلام ، وجد بين يديه آيات بينات تكشف له عن رسالة هذا الدين ودعوته الصادقة المخلصة إلى السلام .

فأولا ، عنوان هذا الدين « الإسلام » ، والإسلام والسلام مشتقان من مصدر واحد . . تتقارب حروفهما ، ويتقارب مدلولهما حتى لكأنهما كلمتان مترادفتان . . فالإسلام سلام ، والسلام إسلام . . كلاهما قريب من قريب . . ولو لم يكن « الإسلام » عنواناً للشريعة الإسلامية لكان من الممكن أن يكون « السلام » عنواناً لها .

وحسبك بدين هذا عنوانه . . فإن تعاليمه وأحكامه يجب أن تدور كلها لتحقق مدلول هذا العنوان . . وهذا ما كان فعلا فى شريعة الإسلام .. فدعوته كلها خالصة لخير البشرية و إسعادها ، ولن ينمو الخير ، وتظهر السعادة إلا فى ظلال السلام ، ولن يقوم السلام إلا فى مجتمع يسوده الحب والأخوة والمودة ، ولا نحسب ديناً ، أوشريعة ، أو مذهباً ، حقق لمجتمع ما حققه الإسلام فى مجتمعه من إقرار هذه المعانى فى نفوس أتباعه و إقامتهم عليها .

وثانياً ، السلام بعض عبادة المسلمين . . يرددون هذه الـكلمة فى صلواتهم الخمس اليومية . . حيث يقول المصلى : « السلام عليك أيها النبى . . السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » ، يخفق بهذه الـكلمة قلبه ، و ينطق بها لسانه ، و يمتلئ بها سمعه . . فإذا هى سكينة تظله ، وترف عليه ، وعلى عباد الله الصالحين ، الذين يحبون الخير و يؤثرون السلام !

وثالثاً ، تحية الإسلام التى يلقى بها الإنسان أخاه الإنسان هى « السلام عليكم » يلقاه بها على غير معرفة ، فإذا هى رسول التعارف والألفة والسلام بينهما ، تزول بها الوحشة ، وتصبح وكأنها عهد وميثاق بين المتلاقيين ألا يقع بينهما شر أو عدوان .

ومن حكمة الإسلام فى هذا أن جعل المبادأة بالسلام أمراً مندو باً إليه مستحباً فيه ، وجعل الرد على المُسلِّم واجباً . . قال تعالى : « و إذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها » ، وتحية الإسلام . . هى « السلام عليكم » .

فأى شىء أفعل فى النفوس من هذا اللقاء الـكريم ، وهذا الود المبذول فى سخاء ، يتبادله الناس ، مشاعر طيبة ، وعواطف كريمة ! تحبب الناس إلى الناس !

ورابعاً ، « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » ، بهذا التحديد الواضح عرَّف الرسول الـكريم المسلم وكشف عن صفته . . فإنه لن يعتبر المسلم فى المسـلمين حتى يستقيم على هذا النهج ، وحتى يكون سلاماً كله . . لا يصل منه أذى إلى أحد .

ولسنا نريد هنا أن نحصى ما فى كتاب الله ، وسنة رسوله من شواهد ومُثل لما فى الإسلام من حرص على السلام ودعوة إليه ، فذلك فوق أن يحصى !

ثم كيف لا يكون الإسلام دين سلام ؟ أفيكون إذن دين حرب ؟ وهل بهذا تجىء رسالات السماء ، ولهذا تتجه دعوة الرسل ؟

إن الحرب بلاء وشر . . ودعوات السماء دائماً دعوات إلى الخير ، و إنقاذ الناس . . فكيف يكون الإسلام من بين الأديان السماوية داعية حرب ، ونذير بلاء وشر ؟

أهكذا كانت طبيعة صاحب الدعوة ؟ وهل لهذا كان جهاده و بلاؤه ؟ وهل أقام من دعوته ملكا عريضاً نعم فيه بلذائذ الحياة كما ينعم أصحاب الملك والسلطان ؟ وهل سخر هذا الملك وما فيه من مال ورجال لخاصة نفسه وأهله كما يفعل طلاب الحرب ودعاة التملك والاستعمار ؟ . . لقد عاش الرسول حياته لم يشبع من طعام . . و إن كان خبزه الشعير ، و إدامه الزيت !! وما كان له سرير ينام عليه ، و إنما منامه حصير من ليف خشن ، أضرَّ به ، ونال من جنبيه ! . . تقول السيدة عائشة رضى الله عنها : « ما شبع آل محمد من طعام قط » . . أفهذه حياة الغزاة الفاتحين ؟ أو تلك هى دنيا الأبطال المغامرين ؟ إذن ففيم هذا الجهاد الذى جاهده محمد ، وفيم هذا الأذى الذى احتمله وكانت تنوء منه الجبال ؟ لِمَ كل هذا ؟ إنه لخير الناس ، و إسعاد البشر ، وتلك هى دعوة السماء ، ورسالة الرسول القائم عليها .

ذلك هو الإسلام فى مجال السلم ، يجعل السلام عنواناً له ، وشعيرة من شعائره ، حتى يقع من نفوس أهله موقع اليقين ، ويجرى فى كيانهم مجرى المشاعر والأحاسيس ليهيئ لهم حياة طيبة ؛ ينعمون فيها بالأمن والسلام .

ولكن الحياة ليست سلاماً خالصاً ، والإسلام حين يدعو المسلمين إلى السلام فإنما يدعوهم إلى التى هى أحسن ، وهو من ناحية أخرى يعلم أن هذه الدعوة لا تقع

فى الحياة موقع التسليم من جميع الناس ، وأن الناس لن يستقيموا عليها فى كل زمان ومكان . . فإذا كان فى الحياة سلام ففيها حرب . . كلاهما طرف من أطراف الحياة ، وشأن من شئون الناس ، يظلهم السلام أحياناً ، وتدهمهم الحرب حيناً ، وهم على هذه وتلك يعيشون وفيها يتقيلون .

والإسلام دين واقعى عملى ، يعد أهله للحياة ، و يؤهلهم للسيادة فيها ، و يضعهم بالموضع الـكريم منها . . ولن يتهيأ لهم ذلك إلا إذا ملـكوا الحياة من طرفيها ، سلمها ، وحربها . . فهم دعاة سلام ، يؤمنون به و يعملون له ، و يعيشون فيه ، ولا يتحولون عنه إلا أن يرادوا على ذلك و يحملوا عليه . . فإذا كانت الحرب فهم رجالها وفرسانها ، وهم الذين يبذلون النفس ، و يستهينون بالموت . . لا ينظرون إلى نفس أو أهل أو مال ، و إنما غايتهم نصرة الحق و إعلاء كلمته ، وكسب المعركة القائمة بين الحق والباطل .

فالحرب فى شريعة الإسلام شر و بلاء . . ولـكن حين يبتلى أهله بها و يُحملون عليها يكون البدارُ إلى ساحة الوغى ، والنفّرة إلى ميدان الحرب ، والجهاد فى سبيل الله أمراً ملزماً ، يجب على كل مسلم أن يستجيب له ، و يأخذ مكانه فى صفوف المجاهدين .

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » فهذا الإعداد للحرب ، والتعبئة العامة للقتال . . غير مراد به الهجوم والبدء بالعدوان ، و إنما غايته الاستعداد لما قد يكون من العدو . . وهذا ما تشير إليه الآية فى قوله تعالى : « ترهبون به عدو الله وعدوكم » ؛ فالإرهاب والتخويف بهذه القوى المعدة من شأنه أن يمسك العدو عن المباداة بالحرب والتهجم على هذه الجبهة القوية ، وذلك مما يعين على إقرار السلام حين تتعادل القوى ، و يعتدل ميزانها بين الطرفين .

والتنظيم للحرب ، والإعداد لها فى الإسلام عمل جاد يحمل كل معانى الجد ، فينتظم الأمة جميعها ، ويجعل لـكل فرد فيها مكانه . . حسب استعداده وأحواله . .

فمن لم يكن فى المقاتلين كان فى المنفقين أموالا ، أو المقدمين عدة وعتاداً .. فهى الحرب التى يجب أن يعمل لهـا جميع القادرين ، وهى الحرب التى يجب أن تنفذ إلى مشاعر الأمة جميعها ، فتمسى وتصبح لا تذكر غيرها ولا تعمل إلا لها . . هى محنة يجب أن أن تفرغ لها الأمة جميعها ، وتعطيها ما تملك من قوى مادية ومعنوية ، حتى تجتازها ، وتتغلب عليها ، وتنجو من شرها .

« إنفروا خفافاً وثقالا ، وجاهدوا بأموالـكم وأنفسكم فى سبيل الله ، ذلـكم خير لـكم إن كنتم تعلمون » .

ذلك هو نشيد الإسلام للحرب . . إنه أمر تـكليف يشمل الأمة جميعها . . رجالها ، ونساءها ، وأموالها ، وكل شىء فيها . . وهو إذ يدعو هذه الدعوة العامة ، لا يسوق الناس سوق الأنعام إلى موارد الهلـكة . . و إنما يندفع الناس إليها عن عقيدة و إيمان ، يعرف كل متجه إلى الميدان غايته من الحرب . . لِمَ يحارب ؟ ومن يحارب ؟ فالجندى فى جيش المسلمين هو والقائد سواء فى خير الحرب وشرها . . كل يسعى إلى ما يسعى إليه صاحبه من نصرة الحق و إعزازه . . فليس فى هذه الحرب مطامع شخصية أو أهواء ذاتية . . و إنما هى لغاية عامة يعود خيرها على الناس جميعا من شهد الحرب ومن لم يشهدها . . إنها لإعزاز الحق ، ونصرة الخير !

فالإسلام إذ يعبئ القوى المادية فى الأمة ، يعبئ كذلك مشاعرها وأحاسيسها لتدخل الحرب وكأنها فى مجموعها مقاتل واحد قد استثاره خصمه ، و بسط له يده بالسوء والعدوان .

أمران يحملهما الجندى فى جيش المسلمين معه إلى ميدان القتال فيما يحمل من عدة وعتاد . . أولهما أنه يحارب فى سبيل المبدأ والعقيدة ، غير مسخر لما يسخر له المحاربون لتحقيق أطماع الطامعين من ملوك وقادة . . وهو بهذا الشعور يعمل و يعلم أن النصر له ، كما أن الهزيمة عليه . . وثانى الأمرين : أن الجيش الإسلامى إنما يرد

عدواناً وقع عليه ، وذلك أن الإسلام لا يدعو إلى الحرب إلا أن تـكون دفاعاً عن حق أو رداً لعدوان . . وهذا الشعور يملأ نفس المعتدَى عليه حمية وعزماً على الانتقام ورد العدوان .

ولحـكمة بالغة كانت وصاة الرسول دائماً فى مواقف الحرب ألا يبدأ المسلمون الحرب أبداً . . فإذا بدأها عدوهم كان ذلك أفضل فى إثارة الحماس و إيقاظ الهمم . . وقد كان ذلك سبباً قوياً من الأسباب التى انتصر بهـا المسلمون على أعدائهم فى موقعة بدر ! .

يزحف جيش المسلمين وفى طليعته دائماً الإيمان بالمبدأ الذى يقاتل عليه ، و يضحى فى سبيله . . ثم الشعور بمرارة العدوان من جانب العدو . . تلك المرارة التى لا تزول إلا برد هذا العدوان وكيله صاعا بصاع .

ومن ثم كان من الحتم اللازم على الجندى المسـلم أن يلقى العدو فى قوة وعزم ، وألا يذكر فى هذا الموقف إلا يَقْتُل أو يُقتل . . يقول سبحانه وتعالى : « يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تُوَلُّوهم الأدبار ، ومن يُوَلِّهم يومئذ دبره . . إلا متحرِّفاً لقتال ، أو متحيزاً إلى فئة ، فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم ، و بئس المصير » .

بهذا الإيمان الوثيق ، و بهذا العزم المصمم كان يلقى المسلمون أعداءهم فى مواطن الحرب ، ومن هنا كانت هذه الصفحات المشرقة التى كتبها التاريخ لجيوش المسلمين وأبطالهم فى ساحات الحرب وميادين القتال . . إنها صفحات تحدث عن أروع ما عرفت الإنسانية من تضحية فى سبيل المبدأ ، حتى لقد كان الجندى فى صفوف المسلمين يهجم على الموت ، يريد أن يلقاه بكل سبيل . فإذا قَتل ، وقَتل ، وقَتل ، ولم ينل منه أعداؤه مقتلا ، خيِّل إليه أن الله غير راض عنه ، إذ لم يقدر له الشهادة فيمن استشهد من إخوانه المجاهدين ! .

( بقية المنشور على صفحة ٢٢ )

# الرسول المعلم

« إنما أرسلت معلماً »

حديث شريف

(١) الفضيلة والرذيلة . (٢) الخير والشر .

(٣) الحق والباطل . (٤) الحسن والقبيح .

(٥) الحلال والحرام .

هذه الأمور وما شابهها حقائق نظرية فى ذاتها لا وجود لها إلا فى عالم المعنويات ، والإنسان هو الذى يهب لهـا بأقواله وأفعاله وسائر تصرفاته ، صوراً واقعية فى عالم الحس ، تُرى بالعين وتسمع بالأذن ، وتلمس باليد ، فكيف نوجه الناس إلى ما فى هذه الأمور من المثل العليا ، ونصرفهم عما فيها من ردىء الصفات ؟

عليك أن تتجنب تحليل هذه المعنويات ، والتكلم عن معانيها التجريدية وفلسفتها النظرية ، وأن تكف عن الجرى وراء الفروض والتخمين ، وأن تكتفى بتناول صورها ، وآثارها العملية . فذلك هو الذى يراه الناس و يعقلونه و يتأثرون به وهو الذى تتقرر به عواقبهم فى دنياهم وأخراهم .

ونحن نتعلم هذا من القرآن الكريم ؛ فانظر مثلا حين أراد الله عز وجل أن يتحدث عن صفات فاضلة تخلَّق بها قوم فاستحقوا رضاه ، لم يذكر أصلها وفصلها كما تذكر كتب الأخلاق ، بل سنَّ لنا ذلك السنن الواضح الذى يفهمه كافة الناس ، لأنه يظهرها لهم فى صورة عملية واقعية فقال : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . . . والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً . والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً ، إنها ساءت مستقراً ومقاما . والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً .

والذين لايدعون مع الله إلهاً آخر ، ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ، ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاماً . . . والذين لايشهدون الزور ، وإذا مروا باللغو مروا كراما . والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً . والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما . . أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ، ويلقون فيها تحية وسلاما » .

وإنك لا ترى فى هذا الكلام المشرق شيئا يكد الذهن ، أولفا ودورانا يورث السأم والملل ، بل تراه كثير المعانى سامى الحقائق شديد الظهور ، يزاحم ضوء الشمس فى الوضوح والجلاء ، حتى ليخيل للجاهل أنه ليس شيئا لقربه من البديهة ، وهو فى الحقيقة كل شىء فى بابه .

ولست أريد أن أحلل هنا هذا السياق الجميل ، الذى تجلت فيه هذه الفضائل تجليا عمليا ، فى مشية أصحابها ، وكلامهم ، وصلاتهم فى ليلهم ومناجاتهم لربهم ، والقصد فى معيشتهم ، والكف عن العدوان والشهوات المحرمة . . الخ ولكنى أريد أن أنص على أن هذا السياق ، له من قوة التأثير ما ينهض الإنسان ، ويحمله على الاقتداء بهذه المثل العملية الفاضلة . . وذلك من أسرار الإعجاز ، التى لاطاقة للعقول بالتحديق فى آفاقها ، وفضلا عن سبر أغوارها وأعماقها .

* * *

ومن الطبيعى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أشرب هذا التعليم الحكيم ، وطبع على هذا المنهج القويم ، فلم يعمد فى تعليم أصحابه إلى أنواع الفروض والتخمين بل سار على النهج العملى الذى سنه الله تعالى . . ومن طرقه عليه الصلاة والسلام فى هذا :

١ — أن يشير إلى الهيئة الظاهرة للعيان ، أو يقف عليها ويستنبط منها ما يريد .

ومن أمثلة ذلك أنه كان يكرر فى أحاديثه المعنى السامى ، الذى يدور حول تقدير الرجال بقيمهم النفسية لا بصورهم الظاهرية ، وكان يقرر هذا تقريراً عمليا يبلغ به قرارة اليقين ، ويطيب له خاطر الفقير والمسكين . . مر به يوما رجل ، فقال لرجل عنده جالس معه : ما رأيك فى هذا ؟ فقال : هذا رجل من أشراف الناس ، هذا والله حرى إن خطب أن يزوج ، وإن شفع أن يشفع .

فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم مر رجل آخر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما رأيك فى هذا ؟ فقال : يارسول الله ، هذا رجل من فقراء المسلمين ، هذا والله حرى إن خطب ألا يزوج ، وإن شفع ألا يشفع ، وإن قال ألا يسمع لقوله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا » .

ونلاحظ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يختر للمقارنة رجلين متماثلين فى المظهر فقراً أو غنى ، ولو أنه فعل وقارن بين فقيرين ، ثم حكم بأفضلية أحدهما على الآخر ، لكانت المقارنة كافية لتثبيت المعنى ، وكذلك لو قارن بين غنيين ، ولكنه عليه الصلاة والسلام قارن بين غنى خبث باطنه وحسن ظاهره ، وبين فقير طاب باطنه وهان مظهره ، وتلك من اللفتات النبوية الدقيقة ، التى من شأنها أن تظهر لك المفارقة الشاسعة بين هذين الطرفين .

وقال فى هذا المعنى يوما لأبى ذر : أترى كثرة المال هو الغنى ؟ قلت : نعم يا رسول الله .

قال : فترى قلة المال هو الفقر ؟ قلت : نعم يا رسول الله .

قال : إنما الغنى غنى القلب ، والفقر فقر القلب . .

فهذه أسئلة ألقاها الرسول على أحد تلاميذه ، وقد أجاب التلميذ على قدر ما يعرف ، فذكر له المعلم الأعظم — صلوات الله عليه — الحكم الصحيح فى الغنى

والفقر ، ولـكن أتراه اكتفى بهذا ؟ لا ، إنه مضى فى أسئلته الحـكيمة المثيرة لرواكد النفس . . قال أبو ذر : فسألنى عن رجل من قريش : هل تعرف فلانا ؟ قلت : نعم يا رسول الله ، قال فـكيف تراه ؟ قلت : إذا سأل أعطى ، وإذا حضر أدخل ، قال : ثم سألنى عن رجل من أهل الصفة . فقال : هل تعرف فلانا ؟ قلت : لا والله ، فما زال يحليه وينعتـه حتى عرفته ، قال : فـكيف تراه ؟ قلت : هو رجل مسكين من أهل الصفة .

قال : « فهو خير من طلاع الأرض من الآخر » .

وفى كتب السنة ما يفيد أن هذه المقارنة تـكررت بصور مختلفة لتقرير هـذا المعنى نفسه .

ومما نمثل به لما نحن بصدده ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بالسوق يوما — والسوق هو الدنيا مصغرة — فأراد عليه السلام أن يبين لهم قدر الدنيا التى أقبلوا عليها هذا الإقبال ، وكانوا قد علموا من قبل أن متاع الدنيا قليل ، وأنها لاتزن عند الله جناح بعوضة ، ولـكنه عِلْمٌ يقرر القواعد والأحكام العامة تقريراً تجريديا ، فأحب عليه السلام أن يقرره اليوم لهم عمليا ، وهم فى زحمة الدنيا ، ووسائل الإيضاح بين أيديهم .

مر عليه السلام وهو بالسوق بجدى أسك[1] ميت ، فقال لمن حوله : أيكم يحب أن هذا له بدرهم ؟ فقالوا : ما نحب أنه لنا بشىء ! وما نصنع به ؟ .

قال : أتحبون أنه لـكم ؟ قالوا : والله لو كان حيا لـكان عيبا فيه أنه أسك ، فـكيف وهو ميت ؟

فقال : « والله للدنيا أهون على الله من هذا عليـكم » .

وكما قرر رسول الله صلى الله عليه وسلم المعنى السابق فى أساليب متعددة من المقارنة العملية ، قرر هذا المعنى بالوقوف مرات متعددة على مثل هذه المناظر التى تعافها النفس .

---

(١) السكك : صغر الأذن ولزوقها بالرأس ( قاموس ) .

٢ — ومن طرقه عليه السلام فى تجلية المعانى الدقيقة الخفية ، أن يلفت النظر إلى ما لهذه المعانى من آثار محسوسة فى القلب ، لا تخفى على الإنسان .

سئل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ما الإثم ؟ وما الإيمان ؟ وما البر ؟ . . هـذه أسئلة عن معان دقيقة خفية ، يطلب بها أصحابها تعريفاً وافياً عن حقيقة ما يريدون ، فبماذا أجاب الرسول عليه الصلاة والسلام ؟ .

ترى لو سئل عن ذلك أحد الفلاسفة ، أو أحد حملة الإجازات العليا من الجامعات الكبرى ، فبأى شىء كانوا يجيبون ؟ . . أما حامل الإجازات العلمية فكان يذهب إلى بطون الكتب ، ليستخرج منها أقوال العلماء ، ويقارن بينها ويفاضل ، ثم يخرج لك ببحث يظنه يرضى ويشفى ، وأما الفيلسوف فيعرفه لك تعريفاً تجريدياً ، يزيد الأمر غموضاً عليك ، وقد يتفضل فيملأ الأفق من حولك تحليلات وتعديلات ، وفروضا وتخمينات ، مما تخرج منه وأنت تشعر كأنك لم تتصل بشىء مما سألت عنه ، بل وأنت نادم على أنك سألت ! . ولكن أنظر يا أخى إلى إجابة سيد العارفين ، وقدوة المعلمين — صلى الله عليه وسلم — :

الإثم : إذا حاك فى نفسك شىء . . فدعه . . الإثم ما حاك فى صدرك ، وكرهت أن يطلع عليه الناس .

الإيمان : إذا ساءتك سيئتك ، وسرتك حسنتك ، فأنت مؤمن .

قال وابصة بن معبد : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا لا أريد أن أدع شيئا من البر إلا سألت عنه ، فقال لى : أدن يا وابصة ، فدنوت منه حتى مست ركبتى ركبتيه ، فقال لى يا وابصة ، أخبرك عما جئت تسأل عنه؟ قلت يا رسول الله أخبرنى ، قال : جئت تسأل عن البر والإثم قلت : نعم ؛ فجمع أصابعه الثلاث وجعل ينكت بها فى صدرى ، ويقول : يا وابصة ، استفت قلبك ! البر ما اطمأنت إليه النفس ، واطمأن إليه القلب ؛ والإثم ما حاك فى القلب وتردد فى الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك .

وما أحب أن أعلق هنا بشىء ، لأنى أريد أن تسائل نفسك عن مبلغ رضاك واطمئنانك إلى سداد هذه الإجابة ، التى تصل بينك و بين هذه المعانى بصلات قلبية وثيقة .. فعليك يا أخى بهذا النهج الفطرى والعملى ، فإنه نهج يعرض عن كل مالا تأثير له فى الموضوع ، ويتناول ألوان الأحاسيس التى هى ثمر ذلك كله والتى ينبعث الإنسان بقوتها إلى البر أو الإثم .

وقال عليه الصلاة والسلام : « فى القلب لمتان : لمة من الملك ، إيعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه ، وليحمد الله ، ولمة من العدو ، إيعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهى عن الخير ، فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ، ثم تلا قوله تعالى : « الشيطان يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً ، والله واسع عليم » .

جزى الله عنا مولانا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ماهو أهل له ، بل ما الله أهل له ! .. أى نفس هذه يا أخى ! ! إقرأ هذا الحديث ، بل اقرأ كل ما سبق من أحاديث ، ثم خبرنى : ماذا أراد لنفسه منا ؟ إنها كلها لنا ، فقد وقف حياته يعلمنا و يطهرنا ، ويذود الشيطان عنا ، ويحرص على سعادتنا ، و يقول فى صدق وحنان : « إنما أنا منكم كالوالد من ولده » .. ماذا أخذ رسول الله لنفسه ؟ .. لقد خرج من الدنيا ودرعه العزيزة مرهونة عند يهودى على حفنات من شعير .. !

أى نفس هذه .. ! إنك تراه يا أخى يعلم هذا التعليم العجيب ، وهو يحرص أشد الحرص على تحذيرنا وتنبيهنا .. فللقلب جانبان ، فى كل جانب لمة — واللمة : الشعر الذى يجاوز شحمة الأذن مسترسلاً إلى المنكب — إحدى اللمتين بيد الملك والأخرى بيد الشيطان فهما يتجاذبان القلب من هاتين اللمتين ولكل جذبة منهما خواطر فى الصدر ، فجذبة الملك تبعث خطرات الخير وتصديق الحق بإذن الله ، وجذبة الشيطان تبعث خواطر الشر وتكذيب الحق والشك فيه .

أرأيت يا أخى هذا التنبيه العجيب وهذا التعليم السديد ، الذى يحيلك إلى

أعماق نفسك ، و يلفتك إلى الانتفاع بتحليل خواطرك ؟ فمن وجد خواطر الخير فليعلم أنه من الله سبحانه وليحمد الله عليه ، ومن وجد خواطر الشر فليفر إلى الله مستعيذا به من الشيطان الرجيم : « الشيطان يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً ، والله واسع عليم » .

و إننى يا أخى أدعوك معى إلى الاستغراق فى الإعجاب التام بجمال التعليم ، و بجمال الرحمة فى قلب النبى — صلى الله عليه وسلم — فرحم الله عبداً أدام الإصغاء إلى هواتف قلبه ، فما كان من هواتف الخير استجاب له وأمضاه ، وما كان من هواتف الشر قمعه بالمجاهدة والتطهير والفرار إلى الله سبحانه وتعالى .

٣ — وصف هذه المعانى الفطرية بأقرب أوصافها العملية ، التى تبين أو تمثل حقيقتها ، على أن يكون هذا الوصف مرغباً أو منفراً . . .

فالذى يسأل الناس مثلاً إنما يذهب بهاء وجهه ، وأكرم شىء على الإنسان وجهه ، فانظر كيف يصور رسول الله صلى الله عليه وسلم المسألة تصويراً يصد عنها و ينفر منها . . . قال عليه الصلاة والسلام : « لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله تعالى ، وليس فى وجهه مزعة لحم » . وقال : « إنما المسائل كدوح يكدح بها الرجل وجهه ، فمن شاء أبقى على وجهه ومن شاء ترك » .

وقال على كرم الله وجهه : قلت للعباس : سل النبى يستعملك على الصدقة ، — أى يكون من الأمراء الذين يشرفون على جبايتها و يأخذون أجراً عليها — فسأله ، فقال عليه الصلاة والسلام : «ما كنت لأستعملك على غسالة ذنوب الناس» .

وهذا الوصف حق ، لاحظ فيه النبى عليه السلام ، معنى قوله عز وجل : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « الجمعة — أى صلاتها — حج المساكين » . وهو وصف صادق يلم بحقيقة الجمعة من هذا الوجه خير إلمام ، فالمساجد بيوت الله ،

والكعبة المشرفة بيته عز وجل ، لكنها تمتاز بأنها أعظم البيوت قدراً وبركة . . . فالحج إلى المساجد يوم الجمعة لزيارة الله ، كالحج إلى زيارته عز وجل فى بيته المعظم ، مع مراعاة أن الفرق بين حج المساجد وحج البيت الأكبر ، هو كالفرق الشاسع بين حرمة المساجد العادية وحرمة بيت الله الحرام . . . لكن الله عز وجل بفضله وكرمه يطلع على المساكين من عباده ، الذين تقعد بهم حالهم عن الحج الأكبر ، فيكتب لهم عن كل جمعة يؤدونها ثواب حجة كاملة ، فطوبى للمساكين ، عيال الله فى الأرض ، وأولى الناس برعايته وحمايته ! فاللهم ارحمنا برحمتك إياهم ، واجعلنا منهم ، واحشرنا فى زمرتهم ، تحت لواء رسولك الكريم .

ويقول عليه السلام : « إن المؤمن ينضى لله شيطانه كما ينضى أحدكم بعيره فى السفر » .

وما نرى وصفا أصدق ولا أبين من هذا الوصف ، الذى يشرح اجتهاد المؤمن فى سفره إلى الله عز وجل ، فإنه سفر يبادر فيه بالطاعات والباقيات الصالحات ، ويتحصن فيه بدوام الذكر ، فلا يجد شيطانه فرصة للقبض على عنانه وتحويله عن غايته . . .

ولكل إنسان شيطان يلزمه من مولده إلى مماته ، كما يقول عليه السلام ، وشيطان المؤمن الجاد فى سيره يلهث من وراء صاحبه حتى يلحقه الضنى والهزال ، وليس أطيب لقلب المؤمن من هذا الوصف ، ولا أبعث منه على مضاعفة الجد والحذر .

هذه أحاديث تتناول وصف بعض الرذائل ، ووصف بعض الفضائل سقناها على سبيل التمثيل لأسلوب الدعوة إلى الله ، وهى أوصاف تمتاز بميزتين أصليتين : الصدق التام فى بيان الحقيقة ، وإثارة شعور البغض أو شعور الرضى إثارة قوية تنفر من الرذيلة ، أو تستحث الهمة إلى الفضيلة .

وحذار أن تظن أن هـذه أوصاف وضعت كيفما اتفق و بقصد الترهيب والترغيب فقط ، هيهات هيهات ! إن هذا شأن البشر العادى ، أما رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، فإنه لا ينطق عن الهوى ، ولا يحدث إلا بميزان ، فهو الوصف الصادق الذى يقتنص الحقيقة و يضعها بين يديك . .

أقول هذا ، حتى لا يترك أحدنا لنفسه الحبل على الغارب ، فيصف الفضائل بما يشاء من الأوصاف الحسية التى تحلو فى بيانه الصناعى ، و يصف القبائح بما يرضاه الفن الدارج . . . لا ، إننا نصف الحق ، فعلينا أن نستقى هذه الصفات من المصدر الذى تعلمنا منه الحق . . الـكتاب والسـنة ، فإذا عدوتَهما لحقك الخطأ ، وظهر التناقض فى كلامك بعد قليل . . هذا شأن الورعين فعليك به ، والتزم منهاجهم فى كل وصف تريد أن تقرب به حقيقة من الحقائق إلى أفهام الناس وقلوبهم .

ولنضرب لك مثلا من كلام السلف تنسج على منواله إن شاء الله ، فمثلا يقول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : شيطان المؤمن مهزول . وهو وصف يأخذ من معين الحديث الذى سقناه منذ قريب . . . ويقول فى هـذا المعنى نفسه قيس بن الحجاج : قال لى شيطانى : « دخلت فيك وأنا مثل الجزور . فصرت الآن مثل العصفور ، قلت : ولم ذاك ؟ قال تذيبنى بذكر الله » . .

فهى محاورة تُصور ما بين المؤمن وشيطانه ، بحيث لا تعدو ما أوضح رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك .

وهاك مثلا آخر ، وهو يأخذ من معنى الحديث الذى يصف الصدقات بأنها غسالة ذنوب الناس : قال أسلمُ ، مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما : قال لى عبد الله بن الأرقم : دلنى على بعير من العطايا ، أستحمل عليه أمير المؤمنين — أى يطلبه من أمير المؤمنين ليحمل عليه أثقاله ويقضى مآربه — قال أسلم :

فقلت له : نعم ، هذا بعير من إبل الصدقة فخذه . . وهنا قبض عبد الله بن الأرقم عضلات وجهه مستنكفاً لأنه كان يرجو جملا من الغنائم ، أو مما شرى أو حبس للمصالح العامة ، فقال لأسلم يصور له إعراضه عن جمل الصدقة : أتحب لو أن رجلاً بادناً فى يوم حار ، غسل ما تحت إزاره ورفغيه ( إبطيه ) ثم أعطاكه فشربته ، قال أسلم : فغضبت ، وقلت : يغفر الله لك ، لم تقول لى مثل هذا ؟ قال : فإنما الصدقة أوساخ الناس يغسلونها عنهم .

هؤلاء يا أخى كانوا ينظرون إلى كلام رسول الله بالمنظار المكبر ، أستغفر الله ، بل بالمنظار الذى يرى المعانى على حقيقتها كبيرة عظيمة ، منظار القلب المتدبر الواعى ، ثم يأخذون من قلوبهم ما يشاءون ، فيتصرفون فيه على ما رأيت .

جمعنا الله و إياك على الحق الذى اجتمعوا عليه ، وهدانا سواء السبيل إنه قريب مجيب !

**البهى الخولى**

---

( بقية المنشور على صفحة ١٢ )

هؤلاء هم أسلافنا ، وذلك هو ماضينا فى الجهاد ولقاء المعتدين !

واليوم تقف مصر وقفة أشبه بتلك المواقف التى مرت بتاريخ الأمة العربية ، وتستهدف لاعتداء آثم يراد به النيل من كرامتها ، والغدر بحقها !

إن جيوش الباطل قد حشدت لتغتصب حقنا ، وتنال من كرامتنا ، ونحن فى وجه هذا العدوان نحشد كل ما فينا من قوى ، ونقدم كل ما لدينا من مال ورجال ، ونقذف بكل ماتحتمل مشاعرنا من كراهية ومقت لهؤلاء المعتدين . .

إننا لا نريد حرباً ولا نبغى عدواناً ، و إنما ندافع عن كرامة ، وعن حرية وعن حق . . فإن أبى الأقوياء المدلّون بقوتهم إلا أن يركبوا مركب الشيطان ، ويجنحوا إلى الاعتداء ظلماً وعدواناً . . فالويل لهم ، « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » ! .

**عبد الكريم الخطيب**

# ملامح للمجتمع الإسلامى

طلعت شمس الإسلام على مجتمع متحلل من الخير ، مسرف فى الإثم ، حائر بين الشعاب ، لم يحسن الاهتداء إلى الله ليعبده ، ولم يعرف طريق القسطاس ليمجده ، ولم يذق طعم التطهر ليؤيده ويسنده ؛ فأخذ الإسلام يبنى من الأنقاض مجتمعاً سليما جديداً ، له كل مقومات المجتمع الكريم الفاضل ؛ وتتابعت من الإسلام خطوات الإصلاح والبناء والتعمير والتحسين ، حتى أقام الناس على منهاج مثالى للحياة والاجتماع ، وعلى محجة واضحة مستقيمة بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ؛ وفى خلال سنوات استطاع الإسلام أن يبلغ بأبنائه القمة ليكونوا لغيرهم القدوة ، وليكونوا أمة مثالية ، وليكونوا شهداء على الناس ، وليكونوا خير أمة أُخرجت للناس ، كما ينطق القرآن الكريم . . .

* * *

والمجتمع الإسلامى الفاضل ينهض على قواعد ثلاث هى : ضمان الضروريات ، وتوفير الحاجيات ، وتهيئة التحسينات ؛ ففى باب الضروريات نراه يصون النفس والعقل والدين والنسل والمال : « كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه » ؛ وفى باب الحاجيات نرى الحق تبارك وتعالى يحدِّث عباده بأنه الذى خلق لهم ما فى الأرض جميعاً ، ويأمرهم بالانتشار فى الأرض والابتغاء من فضل الله : « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا ، فامشوا فى مناكبها ، وكلوا من رزقه وإليه النشور » . وفى باب التحسينات نرى الإسلام يبيح كل طيب ويمكِّن أهله من ملذاتهم بطرقها المشروعة وحدودها الحافظة : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » . وتقول عائشة رضوان الله عليها : « ما تمتع الأشرار بشىء

إلا تمتع به الأخيار ، وزادوا عليه رضا الله » ؛ وما أبلغ البيان القرآنى حين يرمز على طريقته الخاصة إلى ذلك كله فيقول : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض ، إن الله لا يحب المفسدين ! . . » .

***

وقد بدأ الإسلام فى بناء مجتمعه الفاضل بإصلاح الفرد وجعله فاضلا ، فأرشده إلى تطهير داخله ، وتزكية نفسه ، وصيانة النواة فيه ، وحفظ مصدر الإشعاع والتوجيه فى أعماقه ، وهو القلب ؛ فسمعنا القرآن يردد : « يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم » ، ويقول : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » ؛ وسمعنا نبى الإنسانية محمداً صلوات الله عليه يقول : « ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب » ؛ ويقول : « اللهم يا مقلب القلوب ، ثبت قلبى على دينك » ! ! . . وما دام القلب سليما صالحاً ، ذاكراً لربه ، ثابتاً على دين خالقه ، فإنه سيحرك صاحبه إلى الخير ، وسيحول بينه وبين الإثم والبهتان ! . .

وقد جعل الإسلام هذا الفرد الزكى فى قلبه فرداً حياً نشطاً متحركا عاملا منتجاً ، وجعله فى عمله صابراً مصابراً مداوماً ، فقال الرسول : « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل » ؛ كما جعله فى عمله متقناً محسناً ، فالرسول يقول : « إن الله يحب من العبد إذا عمل عملا أن يتقنه » ، وجعله فوق هذا وذاك فرداً جماعياً متضامناً ، فالرسول صلوات الله عليه يقول : « والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه » .

ثم انتقل الإسلام من الفرد إلى المجموعة الأولى فى المجتمع وهى الأسرة ، فبناها على السكينة والمودة والرحمة ، وعلى عشرة المعروف ، وعلى الخلق الكريم فى المعاملة ،

فالقرآن يقول : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » ؛ ويقول مخاطباً الأزواج فى شأن الزوجات : « وعاشروهن بالمعروف » ، ويقول الرسول : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى » .

***

ثم انتقل الإسلام من الأسرة إلى الأمة المسلمة ، وإلى المجتمع المتدين المؤمن ، الصالح المصلح ، فجعله مجتمعاً يقوم على التكافل والتساوى بين الأفراد فى حقوقهم الطبيعية وواجباتهم الأساسية ، فالنبى صلوات الله عليه يقول : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم » وليس فى هذا المجتمع مكان لطاغية فرد أو حاكم مستبد ، بل فيه جماعة راشدة تحكم نفسها بنفسها ، على أساس كتابها وهدى نبيها : « وشاورهم فى الأمر » ، « وأمرهم شورى بينهم » ؛ والفرد فى هذا المجتمع له حرمته وكرامته وشخصيته ، ولكن هذه الشخصية الفردية لا تتعارض مع الشخصية الجماعية ولا تبغى عليها ، فهذا الفرد مطالب بالسمع والطاعة فى الرضا والغضب ، والمنشط والمكره ، ولذلك جاء الحديث : « اسمعوا وأطيعوا وإن استُعمل عليكم عبد حبشى ، كأن رأسه زبيبة » ؛ وعن أبى ذر قال : « أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم أن أسمع وأطيع وإن كان عبداً مجدَّع الأطراف » .

ولكن هذه الطاعة مشروطة بأن تكون فى حدود ما أمر الله به أو رضى عنه ، أما إذا انتقل الأمر إلى حيز المعصية كان أمراً باطلا ، لا سمع فيه ولا طاعة له ، ومن هنا جاء فى الحديث : « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » ، وفيه أيضاً : « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب أو كره ، مالم يؤمر بمعصية ، فإذا أُمر بمعصية ، فلا سمع ولا طاعة » . وليس وراء هذا المنهاج سبيل للتعادل بين سلطة الجماعة الراشدة وكرامة الفرد المسلم

***

وهذا المجتمع يقوم على ضوابط العدل والخير والتعاون فيما يفيد و ينفع ، والتواصى بالحق ، والتناهى عن الباطل : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان و إيتاء ذى القربى ، و ينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون » ، « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب » ، « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله . . » ؛ « والعصر ، إن الإنسان لفى خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر » ! . .

وهو مجتمع يقوم على العدالة الكاملة فى الجزاء ، والحساب الدقيق فى العمل ، والمراجعة المضبوطة فى التصرف : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » ، و يقوم على المماثلة فى مقابلة السيئة بمثلها للردع والتأديب ، ولكنه فى مجال الخير والإحسان يقوم على إثابة المحسن خير إثابة ، ومقابلته بأضعاف حسنته ، وذلك للترغيب والتشجيع والتحبيب ؛ « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » ، « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل ، فى كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم ! . . » .

***

وهو مجتمع يدرك أن الجريمة ستقع ، وأن اعتداء البعض على البعض سيحدث ، وأنه لا بد من روادع وزواجر ، لتصد الناس عن هذه الجريمة وذلك الاعتداء ، وقد أقام الإسلام هذه الزواجر على أساس التهذيب والاقتصاص ، لا على أساس الثأر والانتقام : « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون » .

وهو مجتمع ربانى إلهى ، موصول الأسباب بالسماء ، فكل فرد من أفراده يريد بعمله الخاص أو العام وجه الله ورضاه ، لا يريد به المنفعة أو المفخرة أو الحمية أو المراءاة ، وهو إذا أراد وجه الله فى أعماله ، كان له الأجر فى جميع هذه الأعمال ،

سواء أكانت مادية أم روحية أخروية أم دنيوية ، فيكون له الأجر فى السعى على أولاده كما يكون له الأجر فى الجهاد من أجل دينه ، بل يكون له الأجر على اللقمة يأكلها ، وعلى أولاده يضاحكهم ، وعلى زوجته يأتى فراشها ليعفها ويعف نفسه ؛ والله رءوف رحيم !!...

وهذا المجتمع — أخيراً — مجتمع طهور متحنث متأثم ، يتذكر دائما أن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ، فهو لا يرتضى — بله أن يأتى — رذيلة أو إثما أو منكراً ، والحق تبارك وتعالى يقول : « قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والإثم ، والبغى بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » .

***

ثم انتقل الإسلام بعد ذلك إلى المجتمع الإنسانى كله ، إلى عالم البشرية الواسع ، فأقام هذا المجتمع على دعائم ثابتة واضحة من اتحاد الأصل ، وشرعة التمايز للتعارف ، وأساس الأفضلية بالتقوى ، وقاعدة الاصطفاء والتكريم بوجود النفع للغير ، والإسهام فى الخير والبر ، فالقرآن يقول : « يأيها الناس ، إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير » ، والحديث الشريف يقول : « خير الناس أنفعهم للناس » ! .

***

هذه هى الخطوات الأساسية التى خطاها الإسلام فى بناء المجتمع الفاضل ، وقد بلغ القمة بهذا المجتمع ، حتى أخرج للناس نماذج بشرية سامية ، تضىء الطريق لمعاصريها ولاحقيها ، وقد زانت هذه النماذج العالية جبين الدنيا بمكارم الأخلاق وعظيم الفعال وشريف الخصال ، ثم جاءت على هذا المجتمع الإسلامى

الفاضل عوامل الهدم والتخريب ، فوقفت له أعداؤه من الداخل والخارج ، وتربصوا به الدوائر ، وكادوا له مستترين ومستعلنين ، وعاونهم الخلاف المستحكم بين أبناء الأمة الواحدة وأتباع دين التوحيد ، وساعدهم الترف المهلك وما ساقته الدنيا من فتن ومغريات ، فتجمعت هذه العوامل كلها ، وأخذت تنخر فى بناء المجتمع الإسلامى حتى أتت عليه أو كادت ، وتطاول الأمد على المسلمين وهم يرقعون أو يستعيرون أو يتخبطون ، واليوم يريد المخلصون من أبناء الإسلام أن يعيدوا بناء هذا المجتمع الإسلامى على الأساس الأول الذى وضعه القرآن ، ودعم بناءه محمد عليه الصلاة والسلام ، ولا شك أن هذا مقصد جليل خطير ، إذ نبتت فى العالم عن يمين وشمال مذاهب اجتماعية شتى ، تغرى ببريقها والتماعها ، وتخدع بزخرفها وزينتها ، وتزاحم منهاج الإسلام الاجتماعى الأعلى لتشاركه أو تحتل مكانه ، ومن هنا يتبين عظم الواجب الذى يتحتم أن ينهض به أبناء الإسلام لإعادة المجتمع الإسلامى سليما كريما فاضلا كما كان فى الصورة المثالية التى رسمها التنزيل وحققها مبلِّغ هذا التنزيل إلى العالمين صلوات الله عليه . .

إن العالم المنكوب يعانى ما يعانيه بسبب حيرته فى مجالات المذاهب الاجتماعية المستحدثة ، وهو يخرج من تجربة إلى تجربة ، وإن شئت قلت : من محنة إلى محنة ، ودواء السماء بين يديه يصد نفسه عنه ، أو تدفعه عن ساحته يد الشيطان ، ولو أقدم عليه لانتفع منه وسعد به :

ومن العجائب — والعجائب جمة — قربُ الدواء ، وما إليه وصول
كالعيس فى البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول ! !

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

# أعلام الإسلام

نماذج يقدمها الإسلام :

## موسى بن نصير

### البطل العربي الفاتح

من علم البدوى نشر شراعها وهداه للابحار والإرساء
أين البحار من القفار وأين من جن الجبال عرائس الدأماء
يابن القباب الحمر ويحك من رمى بك بين هذى اللجة الزرقاء
« على محمود طه »

( ٢ )

ولا نجدُ مفراً من الحديث عن طارق ببعض الإفاضة فى صدد الحديث عن موسى بن نصير ، فقد جمعتْ بين الرجلين ملابسات متحدة فى البسالة والجهاد ، وقاربتْ بينهما ظروف متشابهة فى النشأة والخاتمة ، فكلا البطلين عصامىّ بنى مجده بيده ، وارتكز فى أعماله على شجاعته وصبره وعرقه فى كفاحه ، دون ظهير غير الكفاءة والشخصية والمران ، وكلا الرجلين صادف تنكّراً لأعماله ، وبخسا لجهوده ، حيث ينتظر أن يتبوأ — بما قدم — مكاناً عالياً ومنزلةً مرموقة ، ولئن وقعت محنةُ طارق على يد موسى — مما سنعرض للحديث عنه — فقد شاء القدر أن يذوق موسى الكأس مترعة ، ليعرف أى ذنب أسلف . ومهما اختلف النوازع أخيراً بين الرجلين فقد جمع بينهما التاريخ جمعاً لا فكاك منه ، فلن يُذكر فتحُ الأندلس إلا إذا ائتلقت فى العينين شخصيتان لامعتان ! شخصية القائد الفاتح طارق وشخصية رئيسه الباسل موسى بن نصير ! !

كان طارق مولى لموسى ! وقد اختلف الرواة فى نسبه ، فهناك من يعزوه إلى البربر من قبيلة نفزاوة أو زناته ، وهناك من يعزوه إلى الفرس من همذان ، وهناك

من ينتهى به إلى العرب ، غير أن الدلائل الصادقة تؤكد نسبته للبربر ، ونحن نشهد بين المؤرخين معارك كثيرة عن نسبة أفذاذ من عظماء الإسلام ، وكل كاتب يحاول أن يُرجّح نِسبَةً على نسبة ، ويدورُ النقاش فى غير طائل كما حصل أخيراً عن نسب ابن سينا وجمال الدين الأفغانى ، أهُما للفرس أم للأفغان أم للعرب ؟ والإسلامُ لا يعبأ بذلك ، إذ لا يفرقُ بين عربى وفارسى وبربرى ، فلا يهمّنا فى شىء أن نُلحق طارقا بقوم دون قوم ! ! ويكفى أنه قائد باسل مسلم تربّى فى أحضان القرآن وأُشرب تعاليمه الخالدة ، فكان دينه والداً آخر يبعث فى نفسه معانى الكرامة والعزة ، ويخلق منه بطلا تضيق الأرض عن همته ،ورسالةُ الإسلام دائبة فى خلق الأبطال فهم إليه ينتسبون وبه يعتزون ، وفيهوحده الكفاء ! !

وتاريخ طارق ينطق بإسلاميته الصادقة ، فقد كان خطيبا بليغاً يستمد معانيه من القرآن والحديث ، ويبعث الهمم فى جنده بذكريات أبطال سبقوه فى ميدان الكفاح كعلى وخالد وأبى عبيدة وسعد ، وما كادت سفن جوليان تقله مع جنوده حتى تطلع إلى السماء ، وقد انعكست زرقتها على سطح البحر ، فتأمل مشهداً ساحراً من مشاهد الطبيعة ، فتذكر عظمة الخالق المصور ، وعلت أشواقه إلى السماء تسألها الهداية والتوفيق ، ثم أخذته سنة من النوم ، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله المهاجرون والأنصار ، قد تقلدوا السيوف وتنكبوا القسى ، ومحمد ينظر إليه قائلا : تقدم لشأنك يا طارق ! ! ولن يكون هذا الحلم غير صدى صادق لنفس تذكر الله وتتطلع إلى نصرة السماء : وعزة الإسلام ، فهو انعكاس باطنى يبرز الرغائب والأشواق ويصور ما يغمر صاحبه من صوفية وإشراق ، وكأنى به وقد وقع من طارق موقع البشارة السارة فأيقن بالنصر قبل المعركة ، وكان من روحه المعنوية فى عدة واقية وجيش كثيف ! !

سار القائد الباسل فاخترق الجزيرة الخضراء بعد أن هزم جموعا من القوط تصدت لزحفه ، وسرعان ما انتشرت أنباء الزحف الإسلامى فى بقاع الأندلس ، وكان لها صدى مدوٍ فى بلاط المملكة ، فحشد « لدريك » قوته وعدته ، وأهاب

بجيشه وشعبه أن يتعاونوا على درء الخطر الداهم ، ثم عقد هدنة سريعة بين مناوئيه وجمع حشداً يقدره أكثر الكاتبين بمائة ألف ! وكان لدريك على طغيانه الشديد قائداً قوى العزيمة صلب الإرادة ، فلم يفزع للكارثة بل استعد لها بما يملك . ونحن حين نعترف بمواهبه فى عالم البطولة والإدارة إنما نوفى كل إنسان حقه رعاية للتاريخ ، ولكن جيشه على كثرته كان نهب التخاذل والتفرق . وماذا يصنع بأناس أنهكهم الطغيان واستنزفهم الإقطاع ، ونخرت فى نفوسهم الخيانة ، فهم إلب قوى على الأصدقاء لا الأعداء ، إلا أن كثرتهم الكاثرة قد أدهشت طارقا فطلب المدد من موسى على جناح السرعة ، فبادره بخمسة آلاف مقاتل ينضمون إلى سبعة آلاف ليقف الجميع أمام مائة ألف ! ! وقد أكمل الاستعدادِ النفسى لدى المسلمين والرغبة المخلصة فى إحدى الحسنين ما قد يعوزهم من حشود وجهود ، ووقف القائد الباسل يخطب جنوده ، فيمنيهم الأمانى ، و يبشرهم بالفتح والغنائم و يضعهم أمام الأمر الواقع إذ يقول : «أيها الناس أين المفر ، البحر من ورائكم والعدو أمامكم وليس لكم والله إلا الصدق والصبر واعلموا أنكم فى هذه الجزيرة أضيع من الأيتام فى مأدبة اللئام ، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وعدته ، وأقواته موفورة ، وأنتم لا وزر لكم إلا سيوفكم ، ولا أقوات إلا ما تستخلصونه من أيدى عدوكم ، و إن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمراً ذهبت ريحكم . وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم ، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية ، فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة ، و إن انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت ، و إنى لم أحذركم أمراً أنا عنه بنجوة ، ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس إلّا لأبدأ بنفسى » ، ثم اندفع الخطيب يذكر ما فى الجزيرة من مغانم وأحمال ، و يبيّن لأبطاله حظّهم من ثواب الله وجنة الآخرة ، فيجمع بين الدين والدنيا فى ترغيب ساحر آخاذ ! ! وقد شكّ بعض الأدباء فى نسبة هذه الخطبة الرائعة لطارق ، ولا نرى مُوجباً قوياً لهذا الشك المريب ، فطارقٌ على بربريته قد اشتهر فى قومه بالفصاحة ، ولئن لم يَذْكر هذه الخطبة بكلماتها وحروفها فقد ذكرها بمضمونها ومغزاها ، فماذا

يُفيد الارتيات فى أمر مُحتمل لا تتكامل الأدلة على نقضه ، و إذا كانت بعضُ الكتب القديمة لم تُشر إليها ، فهل أشارت هذه الكتب إلى جميع ما نتناقله الآن لكبار القادة من الخطب والكلمات ! ! وعلى كلٍّ فلن يضير طارقا أن تنسب خطبته إلى غيره ، فنحن نتحدث عن طارق القائد لا طارق الخطيب الأديب ! !

وهناك شك آخر يتطرق إلى ما اشتهر عن إحراق طارق لسفنه ، وهو شك مظنون محتمل ، و إن لم تتضافر الأدلة أيضا على تدعيمه ، إذ أن إحراق السفن فى أمرٍ كهذا مُغامرة جسيمة لا تتصور من قائد يتدبر العواقب و يقدّر النتائج ، فمن المحتمل أن ينهزم المسلمون فى أرض لا يجدون بها حمى يعتصمون به ، فماذا كانوا يصنعون ؟ على أن السفن كانت ملكا ليوليان فكيف يقدم طارق على إحراق ما ليس له . . ! ! ولعمرى لذلك مما يجب أن يوضع موضع التقدير ، ولكنه رغم احتماله لا يجزم بمنع الحادث ، لا سيما وفى صفحات التاريخ ما يماثله ، حين أحرق قائد الفرس سفنه باليمن فى نصرة سيف بن ذى يزن . وحينما أحرق المسلمون سفنهم فى صقلية مرة ثانية ، وفى أقريطش مرة ثالثة فى مستهل القرن الثالث الهجرى .

وفى إقليم شذونه على ضفاف نهر « وادى لكه » تلاقى الجمعان ، فوقف المسلمون على صهوات خيولهم ، تأتلق العمائم البيض فوق الرءوس وتلمع السيوف فى أيديهم و يبرق الزرد فوق الصدور بريقاً أخّاذاً وطارق يروح و يغدو فى الصفوف يذكى نيران الحماسة ، و يؤجج الأشواق للقاء سريع يعقبه الفوز الباهر ، والقوط من أمامهم يتقدمهم الفرسان بدروعهم وأسلحتهم ومن ورائهم سيل زاخر من العامة يحملون الحراب والمناجل والفؤوس والمقاليع ، وقائدهم « لدريك » يجلس فى هودج من العاج يقوده جوادان أبيضان ، وعلى رأسه إكليل ذهبى ، رُصّعت وجهته بالدر والياقوت ، وفوقه رداء حريرى طرز بالذهب ، وأمامه الأعلام والبنود ! !

ودار صراع رهيب أفرغ فيه المسلمون ما فى نفوسهم من البسالة والحمية فهجموا على الموت لا يبالون ، وكان على رأس الجناحين فى الجيش القوطى وَلَدَا الملك القتيل ، ومن خلفهما رهط من الأتباع يضمرون لهما المحبة و يكنون البغضاء الدامية لمغتصب

جائر يعتلى العرش بالسيف والدم ، ويحكمون بالحديد والنار ، فما كاد القتال يستحر حتى اندحر الجناحان ، وثبت « لدريك » محاولا أن يجمع حوله الأنصار ، وقد أبدى من ضروب البسالة ما لا ينكره كاتب يخلص للحقائق ويزن الرجال ، ولكنه أخطأ خطأً فادحا حين وضع فى مقدمة جيشه أناساً تأكل قلوبهم الضغائن ويتحرقون شوقا إلى الانتقام ، وكان يظن أن العدو المشترك سيوحّد الجهود ويجمع القلوب ، ولكن النفوس البشرية فى جماعةٍ كالقوط لا تنسى ضغائنها مهما ضاق المأزق وأحرج الموقف ، فلم تُغن لدريك شجاعته ، وشاهد صفوفه تندحر ، وأعداءه ينزلون به الضربات القواصم ! وكأنّى بأرباب الفؤوس والمناجل من الأرقاء وفعلة الأرض من الأقنان والزراع قد أحسوا ارتياحا كبيراً للخطر المحيق ، فتقدموا بادئ ذى بدء بجسومهم ، ونفوسهم معقودة على الهرب والتراجع ، وقد أرضوا ثورتهم الناقمة على السادة فلاذُوا بالفرار فى حومة لن يكسبوا خيراً منها إذا انتصر قائدهم الرهيب ، وقد ضاق الملك بالموقف ففر من الموقعة واختفى لساعته من الميدان ، وقد شُوهد جواده الأشهب على شاطئ النهر مما دفع إلى الترجيح بغرقه فى الماء مؤثراً ألا يرى الأغلال تصفده أسيراً ضارعاً ينتظر المصير ، ودقت أنباء النصر فى كل مكان ، فاستولى الهلع والقنوط على الأسبانيين ، واهتبل طارق السانحة فتقدم بجنوده شمالا صوب « طليطلة » العاصمة ، وبعث بحملات متفرقة إلى قرطبة وغرناطة ومالقة ومرسية : ثم زحف إلى قشتالة وليون واستمر فى زحفه موغلا حتى جاءته رسالة موسى بوقف الزحف ! ! .

وكانت أخبار النصر تجد دويها الرنان فى المغرب ، فزحف سيل عارم من المسلمين إلى الأندلس وقد فُتح أمامهم الطريق ليأخذوا بحظهم من الجهاد ، أو بنصيبهم من الغنيمة ، وتكامل للإسلام جيش قوى لا تنقصه الروح العالية ، والغنائم الغالية والعتاد الكثير !

ونحن نحارُ فى تعليل رسالة موسى ! ونتساءل لماذا أمر بوقف الزحف ؟ وقد انتصر الجيشُ وسارت أنباء شجاعته تتقدمه فتهيئ له ظفراً آخر ؟ هل دبّت الغيرةُ

فى نفسه ، فنفس على جندية أن يتم النصر على يديه ، هل أراد الاحتفاظَ بما كسب المسلمون كيلا تدفعهم السبل المتشعبة إلى متاهة شاسعة لا تُهيئ لهم سبيل التجمع والاتحاد ؟ لقد جمع طارقُ مستشاريه وعرض عليهم كتاب قائده ، فأشاروا بوجوب الزحف كيلا يظن بهم العدو النافر قصوراً وانخذالا ، فيجمعَ من فلوله الشاردة جيشاً آخر ، ويعوق التقدم الإسلامى فى وقت مُهدتْ به السبل ، وحان اقتطافُ النجاح ! ! وإذ ذاك واصل طارق زحفه ، وقد عجَّل موسى بلقائه على رأس جيش متحمس مستبسل فامتدت فتوحه إلى برشلونة شرقا ، وأربونة فى الجوف ، وقادس فى الجنوب الغربى ، وجليقة فى الشمال الغربى ثم التقى بطارق ! وكان المظنون أن يمطره قبلات الإعجاب والتقدير ! ولكن اللقاء كان عابسا كالحا يخفى وراءه شجونا مؤسفة ، فقد بدأ بالسؤال عن الغنائم ، ثم بالاتهام بالخيانة ، ثم بالتجريد من السلاح ، والزج بالشجاع الفاتح إلى ظلمات الاعتقال ! ! ماهذا الذى فعله موسى ؟ الحقُّ أننا نؤاخذه مؤاخذة قاسية حيث استمع إلى هواتف الغيرة فخرجتْ به عن سنن العدالة والإنصاف ! ! والضعفُ الإنسانى داء عضال ينتقض على صاحبه فلا يستطيع له دفعا ! ! وكان الأحرَى ببطل حازم كموسى أن يقدر بطولة قائدٍ باسل صنعهُ على عينه ، ولمسَ فى مهارته وبسالته ما عاد على الإسلام بالمجد والفلاح ! وتصلُ الأنباء إلى دمشق فيأمر الخليفة بإنقاذ طارق ، ورجوعِه إلى ميدان بطولته فيستأنف الغزو مكللا بالظفر والابتهاج !

سار القائدان الباسلان ، كلٌّ فى طريقه ، يُحارب فينتصر ، حتى نفذ موسى إلى مملكة الفرنجة ، وغزا وادى الرون ، فتضعضع أمراء الفرنجة أمامه ، وهبوا فى جنون لملاقاة الغزاة الظافرين وقد دارت بمخيلة موسى أفكار ، ورقصت فى عينيه أحلام ، فهو يعتزم أن يواصل الفتوح فى جنوب فرنسا ويتجه شرقاً حتى يصل إلى « القسطنطينية » التى عجز العرب عن فتحها من ناحية الشرق ، وبذلك يصبح البحر الأبيض المتوسط بحيرة عربية ، بعد أن يصل ما بين أسبانيا ودار الخلافة مخترقا أمم النصرانية وهازماً ملوكها الصغار ! فهو

يريدُ أن يعبر فرنسا إلى إيطاليا فألمانيا فالبلقان فالقسطنطينية فآسيا الصغرى حتى ينزل دمشق ! ! وقد يظن بعض الناس أن آمال القائد لا ترتكز إلى دعامة قوية ، ولكن الظروف السياسية لعهده لا تمنع من تحقق حلمه ؛ فأمراء الفرنجة متنابذون ودول أوربا غريقة فى الفوضى والاستبداد ! ! وقد يعترض معترض بما وقع بعدُ فى معركة بلاط الشهداء من ارتداد المسلمين منهزمين ! ولكن الزمن غير الزمن ! والجنود غير الجنود ، ولم يُهزم عبد الرحمن الغافقى لقلة فى كفايته أو نقص فى مهارته ، ولكن لِما اجتمع فى جيشه من وُصوليين يبحثون عن الغنيمة قبل الفوز ! ولولا أن الوليد بن عبد الملك قد حارب اتجاه موسى فى مواصلة الغزو متخوفاً من عواقبه ، لكسب الإسلام نصراً عزيزاً ، ونحن نأسى لضياع هذه السانحة الغانمة ! ! ونطوى الجوانح على وجد مرير ! !

وقد جاءت رسائل الخلافة باستدعاء القائدين قبل أن يتمكنا من القضاء نهائياً على فلول القوطيين الذين لجأوا إلى ناحية « جليقية » وذلك خطأ آخر ، فقد أتيح لهؤلاء أن يجمعوا أنفسهم فيضعوا النواة الأولى لمملكة صليبية أخذت تنمو وتزدهر حتى استطاعت بعد ثمانية قرون أن تعصف بريح العرب مستعينة بالدس والوقيعة حينا ، و بالقوة والبطش فى نهاية المأساة .

وقد بذل موسى جهداً كبيراً فى رسم الأسس لسياسة الولاة من العرب قبل عودته إلى دمشق ، ورجع إلى الخليفة يجر الدنيا وراءه بما يحمل من الغنائم والأمتعة والأموال ! ومعه ثلاثون ألف رأس من السبى بينهم مئات من الأشراف والعذارى والوصيفات ! وهنا تأتى مأساة جديدة ! فقد قدم موسى إلى دمشق قبيل وفاة الوليد بأيام — على ما تقول أكثر الروايات — أو عقب وفاته مباشرة كما تقول بعضها ، وآل الأمر من بعده إلى سليمان بن عبد الملك فنكبه نكبة منكرة ، وقسا عليه وأذله إذ لم يتمهل فى سيره قليلا حتى يموت الوليد و يُعزى الفتح لعهده ! ! وسليمان هذا لن ينجو من سخط الناس فى الدنيا ، وعقاب الله فى الآخرة ، فعلى يده و بتدبيره ، صُرع أبطال أفذاذ فتحوا الممالك ، ودوّخوا

الشعوب ، وأنت تسأل عن نكبة موسى ، ومصرع قتيبة بن مسلم ومحمد بن القاسم الثقفى وغيرهم ممن يذكرهم أعداؤهم — قبل ذويهم — بالعظمة والبطولة والإكبار. تسأل عن هؤلاء فلا تجد غير طائش أرعن ، شاءت له الأقدار أن يتحكم فى عمالقة أفذاذ فتحوا الدنيا وحملوا نور الإسلام إلى حيث يبدد الغياهب ويكتسح الظلمات ، وكم فى التاريخ من مهازل دامية تنفطر لها الأكباد ! !

وقد قضى موسى آخر أيامه شريداً يسأل الناس ! لماذا ؟ ليجمع أموالا فرضها عليه سليمان إذ اتهمه بها فى غير إنصاف ! ! وهكذا كانت المسألة الذليلة خاتمة أدواء هذا الفاتح العربى الكبير ، فليتعظ الناس ! !

على أن نتائج الفتح الإسلامى للأندلس كانت سعيدة مرضية لأصحاب البلاد أنفسهم فقد تغير نظام الطبقات ، وترددت أنسام الحرية والإخاء والمساواة ! كما كانت مبادئ الإسلام وحدها سبباً أساسياً فى ظفره العاجل وفوزه السريع ، فلو لم ينخر الفساد فى كيان الشعب الأسبانى ما سهل على الأجانب الغزاة تثبيت أقدامهم ، وتشتيت أعدائهم فى الأقاصى المهلكات ! ! ولو لم يكن مع هؤلاء الغزاة قرآن يبشر بالرحمة والمحبة والإخاء لانتقضت عليهم الجموع الغاضبة فاندحروا إلى قواعدهم خاسرين ! ولكن الإسلام يخدم نفسه بعدله المنصف ، وخلقه الوطيد .

وبعضُ الذين يتجاهلون هذه الحقيقة السافرة ، يحاولون أن يرجعوا توفيق العرب إلى أمور شخصية لا تتصل بالقيم والمبادئ ، فهم يزعمون أن معاونة يوليان حاكم سبتة كانت وحدها طريق النجاح ، مع أن مساعدة حاكم صغير على ثغر ضيق لا تهدم أمة ممتدة الأطراف ، كثيرة المدن والثغور ، عديدة الجيش والسلاح ، وقد نُصدّق أن حاكم سبتة بذل جهداً كبيراً فى إعداد السفن وإيضاح الطريق وتسيير المؤن ، ولكن ذلك وحده — بالغاً ما بلغ — لا يكون مدعاة نصر حاسم مكتسح ، لولا ما بذله العرب فى جهادهم المرير من إيمان راسخ بالمثل الإسلامية . وإخلاص أكيد فى التضحية والاستبسال .

محمد رجب البيومى

## من القـــديم

### طلب الرزق :

( ا ) قال صلى الله عليه وسلم : اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول .

(ب) وقال عليه الصلاة والسلام : ليأخذن أحدكم أحبله فيحتطب بها على ظهره أهون عليه من أن يأتى رجلا أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه .

( ج ) وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنـه : لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقنى ، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة ، وأن الله تعالى إنما يرزق الناس بعضهم من بعض ، وتلا قول الله تعالى : فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلـكم تفلحون .

( د ) ذكر رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم بالاجتهاد فى العبادة ، والقوة على العمل ، وقالوا : صحبناه فى سفر فما رأينا بعدك يا رسول الله أعبـد منه ، كان لا ينفتل من صلاة ، ولا يفطر من صيام .

قال النبى صلى الله عليه وسلم : فمن كان يمونه و يقوم به ؟

قالوا : كلنا ، قال : كلـكم أعبد منه .

( هـ ) مر المسيح برجل من بنى إسرائيل يتعبد فقال : ما تصنع ؟ قال أتعبد .

قال : ومن يقوم بك ؟ قال : أخى .

قال : أخوك أعبد منك .

( و ) قال النبى صلى الله عليه وسلم : خيركم من لم يدع آخرته لدنياه ، ولا دنياه لآخرته .

( ز ) قال عمرو بن العاص : إعمل لدنياك عمل من يعيش أبداً ، واعمل لآخرتك عمل من يموت غداً .

فضل المال :

( ا ) قال تعالى : المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملا .

(ب) قال رسول الله عليه الصلاة والسلام للمجاشعى : إن كان لك مال فلك حساب و إن كان لك خلق فلك مروءة و إن كان لك دين فلك كرم .

( ج ) قال الجاحظ فى الأدب : إعلم أن تثمير المال آلة للمكارم ، وعون على الدين ، وتأليف للإخوان ، وأن من فقد المال قلت الرغبة إليه ، والرهبة منه ، ومن لم يكن بموضع رغبة ولا رهبة استهان الناس به ، فأجهد جهدك كله فى أن تكون القلوب معلقة منك برغبة أو رهبة فى دين أو دنيا .

( د ) قال حكيم لابنه : يا بنى عليك بطلب المال ، فلولم يكن فيه إلا أنه عز فى قلبك وذل فى قلب عدوك لكفى .

( ه ) لا خير فيمن لا يجمع المال ، يصون به عرضه ، و يحمى به مروءته ، و يصل به رحمه .

(و ) قال عبد الرحمن بن عوف . ياحبذا المال أصون به عرضى ، وأتقرب به إلى ربى .

( ز ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

نعم العون على طاعة الله الغنى ونعم السلم إلى طاعة الله الغنى وتلا قول الله تعالى : ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، وقوله : إستغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً و يمددكم بأموال و بنين .

# المنبر العام

آراء حرة حول عصمة الأنبياء :

## موسى وبنو إسرائيل

( ٥ )

وهذه حادثة أخرى من حوادث بنى إسرائيل مع موسى هى فى باب العدد الخامسة عشرة ، وما أكثر حوادث بنى إسرائيل مع نبيهم موسى عليه السلام .

وهذه الحادثة ذكرت فى سورة الأعراف ضمن قصة موسى مع فرعون والسحرة ونسوق الآيات كلها ثم نقفى بالعبرة فى موقف بنى إسرائيل بعد أن رأوا من الآيات ما يفتح الأعين العمى ، والآذان الصم ، والقلوب الغلف قال الله تعالى : « ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون إنى رسول من رب العالمين حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معى بنى إسرائيل قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا هى ثعبان مبين ونزع يده فإذا هى بيضاء للناظرين قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون قال أرجه وأخاه وأرسل فى المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم لمن المقربين قالوا يا موسى

إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هى تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين، وألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين قالوا إنا إلى ربنا منقلبون وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض ويذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون » .

وإلى هنا نستبين أثر معجزة موسى فى نفوس السحرة حين ألقى عصاه فإذا هى تبتلع حبالهم وعصيهم وأثرها فى نفوس بنى إسرائيل فالأولون قالوا ( آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ) فلما هددهم فرعون بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وبتصليبهم أجمعين لم يأبهوا بالتهديد ولا بالوعيد بل قالوا كلام المؤمنين الصادقين ( إنا إلى ربنا منقلبون وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين ) .

أما بنو إسرائيل فقد انماع صبرهم بل انماع إيمانهم حين سمعوا بتهديد فرعون لهم بقوله ( سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم ) ورغم أن موسى طمأنهم وثبت أفئدتهم بقوله (استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) فإنهم قالوا ( أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا ) وهو كلام يدل على خور العزيمة وضعف الإيمان وعدم الثقة بالنفس ، وعدم الاطمئنان لوعد الله .

ولما رأى موسى ما استولى عليهم من ذعر وما تملكهم من جبن قال لهم : (عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون) .

ولكن أنى يكون لبنى إسرائيل صبر أو ثبات أو إيمان ، فأراهم الله فى خصومهم من آيات العذاب والنقمة عليهم يتذكرون قال تعالى (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهدعندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون فانتقمنا منهم فأغرقناهم فى اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبر[1] ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال أغير الله أبغيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم) .

هذا ما صنعه الله فى قوم فرعون من أجل بنى إسرائيل الذين فضلهم على العالمين فى زمانهم ، لقد فعل الله الأفاعيل بقوم فرعون وأنزل عليهم البلاء ألواناً ثم أغرق فرعون وجنوده ونجى موسى وبنى إسرائيل فهل شكروا ربهم على النعمة ، وأخلصوا له العبادة ؟ فما إن جاوزوا البحر ناجين بفضل الله حتى

---

(١) أى هالك .

رأوا قوماً يعكفون على عبادة الأصنام فقالوا يا موسى ( اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ) فقال موسى ( إنكم قوم تجهلون ) وهذا دليل على أن بنى إسرائيل قوم ماديون لا يؤمنون إلا بالمرئيات ولذلك قالوا لموسى « أرنا الله جهرة » فالقيم المعنوية والروحية لا وزن لها عندهم ، ولا مقام لها لديهم فإذا جاءتهم الآيات عيانا لا يلبثون أن يرتدوا على أعقابهم خاسرين وبذلك جمعوا بين المتناقضات ، بين ادعاء الإيمان والكفر الصريح وبين الكبر والذلة . وكان جديراً بهم بعد أن نصر الله موسى على فرعون ، وبعد أن رأوا أن فرعون وقد صنع آلهة صغيرة لقومه ثم ادعى أنه الرب الأعلى وأن ذلك كله لم يغن عنه شيئا من الغرق مع جنوده — كان جديراً بهم أن يثبتوا على الإيمان برب موسى وهرون الذى آمن به السحرة وثبتوا رغم تهديد فرعون ووعيده ، ولكن بنى إسرائيل قوم طبع الله على قلوبهم بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا ثم يرتدون . وكان بنو إسرائيل قد طلبوا من موسى أن ينزل عليهم كتابا من السماء فطلب موسى من ربه المناجاة ليسأله ما طلبه بنو إسرائيل فواعده أن يتعبد ثلاثين ليلة ثم زادها عشراً فكانت جملة ذلك أربعين ليلة فلما تم الميعاد أوصى أولا هرون أن يخلفه فى بنى إسرائيل بالإصلاح ولا يستمع إلى كلام المفسدين منهم ثم ذهب إلى الميقات فكلمه ربه بلا واسطة الوحى فأطمعه ذلك أن يسأل ربه الرؤية فجعل الله استقرار الجبل علامة على إمكان الرؤية وتجلى الله للجبل فاندك وصعق موسى فلما أفاق استغفر وتاب من سؤاله الرؤية ، واعترف بالإيمان المطلق بل اعترف بأنه أول المؤمنين بربه فى زمانه المصدقين لوعده وأمره ونهيه . ثم أخبره الله بأنه اصطفاه وكتب له فى ألواح التوراة ما شاء أن يكتب وأمره أن يأخذ بأحسن ما فيها من السماحة والعفو لأن الله يعلم من بنى إسرائيل الميل للغلظة والشدة والجفوة والقسوة وخاصة مع الشعوب الأخرى ، فهم يبيحون لأنفسهم ما يحرمونه على غيرهم ويعاملون الأجناس الأخرى معاملة قاسية وصدق الله إذ يقول : « ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين

سبيل » ومع ضرب الأمثال التى فيها العظة والعبرة لم يتعظوا ولم يعتبروا وقد أراهم دار الفاسقين وهى ديار عاد وثمود وقوم لوط وذلك قول الله تعالى : « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هرون اخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ، ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين قال ياموسى إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى و بكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ، وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلا لكل شىء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين ، سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ، والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون إلا ما كانوا يعملون » .

وقد وصفتهم هذه الآية بأوصاف ركزت فيهم كل سوء فهم يتكبرون فى الأرض بغير الحق ، وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها . وهم يرفضون سبيل الرشد ويتبعون سبيل الغى وهؤلاء لا يرجى منهم خير . وهنا تطل علينا الحادثة السادسة عشرة وهى اتخاذهم العجل معبوداً بعد أن رأوا من آيات الله البينات على يد موسى ، ورغم أن هرون عليه السلام كان بينهم ولكنهم استضعفوه . وقد ذكرت حادثة اتخاذهم العجل فى عدة سور حينا مطولة ، وطورا مختصرة . وقد ذكرت فى سورة الأعراف فى صورة واضحة كما ذكرت فى سورة طه أوضح . وإلى العدد القادم إن شاء الله تعالى .

جاد المولى سليمان

على ضوء الحوادث :

## مرحبا بالمعركة ..

عند ما انعقد مؤتمر « لندن » لبحث مشكلة قناة السويس — بعد أن استردتها مصر — كان هناك نفر من الناس يتابع مناقشات المؤتمرين وفى نفسه أمل أن ينتهى الأمر بسلام ، وأن ينفضّ المجتمعون وقد استحيَوْا من اللجاجة فى مطمع فات إدراكه .

فإذا لم يكن لديهم حياء غلبهم الوجل من مصاولة أصحاب الحقّ بعد ماتيقظوا له واستمسكوا به . .

وكان أولئك المتفائلون يفرحون إذا جاءت الأنباء بأن دول الاستعمار قد خفضت من وعيدها وكسرت من حدَّتها ، يحسبون أن ذلك التراجع إيذانٌ بحل المشكلة على نحو يرضى أصحاب الحقوق ويردُّ إليهم ما سلب منهم دهراً طويلا .

وما دروْا أن ذلك التراجع لايعدو دائرة الألفاظ المرنة والأساليب التى تُصطَنع اصطناعا لإخفاء أخبث النيات وأحلك المقاصد . . .

وها قد انتهى المؤتمر وانفضحت المؤامرة وسقط القناع عن الوجوه الكالحة واستيقن المترددون أن دول أوربا لا تزال على حقدها القديم وضلالها الأول .

إنها — وقد سمنت من المال الحرام — لاتزال تتشهّى المزيد .

إنها — وقد ضريت على التهام ما أمامها — لن تكُفَّ إلا إذا أصابتها لكمة تهشم أسنانها وتعجزها عن مد الفم ولَيِّ السحت . . . ! !

ونحن منذ تداعى ساسة الغرب وقرع جؤارهم النابى آذان العالم ، ومنذ نادى بعضهم بعضاً للعدوان على مصر وإعداد القوى فى البر والبحر والجو لمهاجمتها — نعرف أنه لا مكان لتفاؤل ولا انتظار لمسالمة ، وأنه من العجز ارتقاب الشرف من

الغادرين أو العفاف من الداعرين ، أو النَّصَفَة ممن آذوا أهل الأرض أجمعين .

***

إن معركة مصر لم يكن بد من خوضها ، سواء أسترجعنا القناة أم تركناها لمن يأخذون القناطير المقنطرة منها .

ذلك أن مصر جزء هائل من كيان العروبة والأسلام .

والمعركة ضد العروبة والإسلام قد بدأت من زمن طويل .

وهى ليست معركة ربح أو خسار لقطع من الأرض أو قدر من المال ، بل هى معركة حياة أو موت .

إنها معركة إبادة لجنس من الناس له لغته ودينه وحضارته .

والاستعمار من سنين طويلة قد أعدَّ عدته لإفناء هذا الجنس وما يتصل به من فكر وحضارة .

وقد بدأت حرب الإبادة هذه من حولنا يوم تقرر تهويد فلسطين ويوم اجتمع عدد من الدول أكبر مما اجتمع فى مؤتمر « لندن » وسمح — فى رضاً ورغبة — أن يطرد العرب من أرضهم شر طردة ، وأن يرثها عن أولئك الأحياء المطرودين بنو إسرائيل الذين دلَّلَهم الاستعمار فى هذا العصر ، وأسكنهم قصور العرب وأطعمهم أقواتهم .

أما العرب أنفسهم ففى الصحراء لهم متسع إن عاشوا أو قبر إن هلكوا . . .

نعم ، وبدأت حرب الإبادة فى الجزائر البائسة ، بعد محاولات طويلة لتنصير المغرب كله وتسميم الدم الإسلامىِّ فيه !

فلما استعصى الضحايا على عسف « فرنسا » تحولت قوات حلف الإطلسى لقمع الشعب المكافح وترضيته بالهون .

ومنذ عامين ما يطلع صباح إلا وأصوات النعاة تقبض الأفئدة بمهلك عشرات الشهداء فى صراع لا يفتر بين المهاجمين والمجاهدين .

ولو رُصَّت أرض الجزائر بأجداث الشهداء ما كان ذلك شيئا يستحق الذكر ، أو يثير الأسى . أما أن تسترجع مصر قناتها فذاك أمر تهتز له الأرض ويحتشد له الساسة ، وتتعاوى من أجله الذئاب فى كل غاب .

غاية ما هنا لك من فرق بين عواء الحيوان والإنسان ، أن هدير الوحش لا تُستَر نبراتُه ولا تُطْوَى أغراضه ، أما عواء الساسة فى مؤتمراتهم فيمكن إخراجه للناس فى قالب غناء ملحون منغوم ! !

وها هى ذى حرب الإبادة تتجه إلينا فى صورة تدويل للقناة أولا ، وأخذ بخناقنا بعد ذلك . فإما عشنا عبيداً وإما كُتِمَتْ أنفاسُنا .

والعجب أن يمضى الاستعمار فى ختله قالباً الأسماء والمسميات جميعاً ، فهو يصف استعبادنا بأنه ضمان لسيادتنا ، ويصف سرقة حقوقنا بأنها رعاية للعدالة فى نفعنا .

وقد سرى هـــذا المنطق فى آفاق الحياة الحاضرة حتى كاد يطمس معالم الأخلاق .

ما كان فى ماضى الزمان مُحَرَّما للناس ، فى هذا الزمان مباح
صاغوا نعوت فضـــائل لعيوبهم فتعـــذر التمييز والإصـــلاح
فالفتك فنٌّ ، والخداع سياسة ، وغنى اللصوص براعة ونجـــاح
والعرى ظرف ، والفساد تمدُّن ، والـكذب لطف ، والرياء صلاح

***

وإذا كانت الحرب ضد العروبة والإسلام قد اشتعلت فى ميادين شتى فليس غريبا أن يطير شررها إلينا ، وليس غريبا أن ينعقد مؤتمر « لندن » لينفخ فى ضرامها ثم يرمينا بشُعَلِها الحارقة .

بل الغريب أن نبقى بمنأى عن هذه الحرب ، ومصر هى معقد العروبة ومناط الإسلام .

إن ابتعاد هذه الحرب عنا كان إلى أجل معدود ، لابد بعده أن نصلاها ، ويجب أن نواجه هذه الحقيقة دون تهرُّب أو إغماض . . .

***

أى سلام كان يرجوه الواهمون من مؤتمر « لندن » ؟ أخشى أن أصارح بما يبطنه أولئك المتعلقون بالسراب حين أقول : إن حبهم للسلام وكراهيتهم للقتال هما سرُّ هذا التأميل الخائب ! !

أجل ، فعدد غفير من الناس لا يزال ينفر من الموت ويتشبث بأذيال الحياة ولو كانت الحياة التى تتاح له على أنقاض دينه ومروءته ، بل على أنقاض عزته وكرامته .

وهذا الصنف الذليل هو الذى انتظر العافية من مجمع اللصوص فى عاصمة الاستعمار ! !

وطالما صحت بهؤلاء الأغرار ، إن الحرب التى تحذرون قد وقعت فعلا مذ تضافرت الصهيونية العالمية والصليبية الغربية على إجلاء إخوانكم واجتياح ديارهم . .

ولو أنكم تيقظتم على هذا التحرش وتنمرتم على وقع الأذى حين نزل بجيرانكم لتهيب القراصنة وشركاؤهم أن يسترسلوا فى غيِّهم .

إن مؤتمر « لندن » عَرَضٌ لعلة أصيلة فى نفوس الذين دَعَوْا إليه .

وقد ذهبت شعوب إسلامية باسلة ضحية لهذه العلة الدفينة .

ذهبت أمس كما يراد أن نذهب اليوم .

فهل كنا نقابل هذا المؤتمر إلا بأزيز الغضب وصيحات الاستنكار ؟

إنه لو تمخض عن سلام لكان سلاما مريبا موقوتا ولكانت هذه النتيجة أبعد ما تكون عن طبيعة الأشياء ، فهاهو ذا قد أسفر عن خبايا الداعين إليه والموافقين عليه .

فلنقلها إذن عالية ولتقولوها جميعا : مرحبا بالمعركة ، المعركة التى فرضها علينا دهاقين اللصوصية العالمية المسلحة . .

لقد كنت أحس غصة وأنا أقرأ وفيات الشهداء تجيء من الجزائر سيلا لا ينقطع ، وأقرأ إلى جانبها دعوة الكتاب البغايا إلى فتح بيوت الدعارة فى مصر .

هذه الحال المستنكرة من التقطع النفسى والعاطفى والإلحاد الدينى والاجتماعى هى التى أوهنت بلادنا وأطمعت عدونا وألَّبت السفهاء والعقلاء ضدنا . . .

ولعل أُولَى بركات التهديد الذى رمانا به مؤتمر لندن أن استخفت هذه الميوعة الحيوانية النجسة ، وشرعنا نستعد لخوض المعركة التى اقتربت من ساحتنا ! !

ألا مرحبا بالمعركة . . .

مرحبا بالمعركة التى تقسم أعباء الكفاح بالسوية على العرب فى كل مكان ، وعلى المسلمين فى كل أفق . . .

مرحبا بالمعركة التى ستغسل بلادنا من أوضار الضعف والاسترخاء ، وتصبغها بلون جديد من البذل والفداء .

* * *

ما هذه الصفاقة التى تجعل عشرين دولة تجتمع أياما وليالى لتتحدث فى سلب حريتنا وخدش كرامتنا . . ؟

أ كانت تجرؤ على خوض هذا الإفك لو أنها ترهب عقباه ؟

إننا وجدنا سرَّ هذا التحدِّى الغريب .

إنهم يحسبوننا ما زلنا نحب الدنيا ونكره الموت ، ومن ثم ينادى بعضهم بعضا . هلمَّ إلى الكلأ المباح والأرض التى لا صاحب لها . هلمَّ إلى تدويل القناة . . ! ! !

وذلك مصداق الحديث : « يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها . فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال :

بل أنتم يومئذ كثير ، ولـكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن الله فى قلوبكم الوهن فقال قائل : يا رسول الله وما الوهن ؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت . . . » .

كان ذلك على عهد الملوك الفسقة ، وأمراء الخمر والنساء .

أما اليوم فإن رئيس الدولة يقول : سأبذل آخر قطرة من دمى .

وعندما تكون هذه الكلمة شعار المعركة الناشبة .

وعندما ترسم السياسة العامة على أساس القتال لآخر رمق ، فلتجتمع الدنيا كلها علينا فلن نخشى بأسها .

محمد الغزالى

---

## من الطرائف

قيل إن ربيعة الرأى قدم مصر ، فأتى يزيد السلمى ، فلم يعطه شيئا ، ثم عطف على يزيد بن حاتم فشغل عنه لأمر ضرورى ، فخرج وهو يقول :

أرانى ولا كفران لله راجعا  بخفى حنين من نوال ابن حاتم

فلما فرغ ابن حاتم من ضرورته ، سأل عنه فقيل له إنه خرج وهو يقول : كذا ، وأنشد البيت ، فأرسل من يجد فى طلبه . فأتى به ، فقال : كيف قلت ؟ فأنشد البيت ، فقال يزيد : شغلنا عنك ، وعجلت علينا : ثم أمر بخفيه فخلعا من رجليه ، وملئا مالا وقال : إرجع بهما بدلا من خفى حنين .

من المُثل العليا :

# فى بناء الأسرة الكريمة

أبادر إلى القول بأن مثلنا العالى اليوم فى بناء أسرته الكريمة ، هو المصلح الكبير « على مبارك » .

ولكن ما لعلى مبارك والحديث عن الأسرة ، وهو الذى لم يتحدث عنه فى هذا الشأن — متحدث ممن أرخوا له ، ودونوا سيرة إصلاحاته .

إذا وضع هذا التساؤل فعلا ، فما أسرعنى إلى أن أمضى فى حديثى إلى غايته ، لأضرب بمذهب على مبارك الواقعى فى البناء والتزاوج — أروع الأمثلة ، وأذكر به أحفل الذكريات الصالحات .

يقول الرسول الكريم « تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس » وإننى أقول قياسا على ذلك إن عِرْق المصلح دساس كذلك ، فكما أنه مصلح فى كل ما يوكل إليه من الأعمال ذات البال ، فإنه كذلك مصلح فى كل شئونه الاجتماعية ، إذا كان الإصلاح عنده فطرة وجبلة ، كما هو الشأن فى هذه الشخصية الفذة فى الإصلاح ، التى كانت محبة الإصلاح فيها مسلمة الثبوت ، وليست بحاجة إلى جدل أو كلام .

امتلأت الدنيا الكلامية بالتحدث عن الزواج من كل نواحيه ، وكثيراً ما تنقصنا الأمثلة الواقعية فى أحاديثنا ، وأكثرها مثالى مسترسل الأساليب والمعانى ولذلك طربت حين ظفرت بهذا المثال الاجتماعى الخطير ، من سيرة رجل هو حديث الإصلاح ، وأبو المصلحين ، وكيف ذلك ؟ إليك موجز البيان :

دعانى داع إلى تصفح بعض المراجع التاريخية المطولة ، وكان من بينها ذلك الينبوع الغزير ( الخطط التوفيقية ) الذى تركه لنا على مبارك ككنز يجود علينا بالجواهر الغوالى كلما طلبناه ، فعثرت فيه اتفاقا على قصة زواجه .

أتم على مبارك تعليمه فى فرنسا ، وعاد إلى وطنه سنة ١٢٦٦ هـ ، وعين مدرساً للرياضة الحربية فى مدرسة ( طرة ) وكان يستطيع وهذه حالته — أن يعزم عقدة النكاح من أكبر البيوت مقاما ، وأعلى الأسر شأناً ، وكانت ترحب به ، وتدخله

من أكبر أبوابها ، ولكن ماذا صنع على مبارك الشاب المتعلم ، المدرس لعلم الرياضة الحربية فى مدرسة حكومية ؟ اسمع ما يقوله فى ذلك :

« وفى تلك المدة تأهلت بكريمة معلمى فى الرسم بمدرسة أبى زعبل ، وكان أبوها قد مات وصارت إلى حالة الفقر ، فتزوجت بها لما كان لوالدها علىّ من حق التربية »

ولى هنا وقفة ذات ثلاث نواح :

الأولى : أن على مبارك كان يستطيع أن يمكث بلا زواج مدة يفرح فيها بالعبث العابث ، والجنون الأحمق ، وارتكاب ما حرم الله أسوة بغيره من الشبان الذين هم أقل منه تعليما ومقاما أدبيا . ولكنه كانت فى نفسه عصمة طبيعية عما يخالف الدين والخلق الطيب .

الثانية : أنه علل زواجه من زوجته ، وبناءه بها بسببين أولهما فقرها ، وهنا أحيي ذكرى على مبارك الذى جعل الفقر سببا فى بنائه بزوجته ، وهذا على خلاف المألوف من طالبى الزواج جميعا . وكأنه فى هذا قد أفشت إليه الحياة بسرها ، فأوحت إليه بأن الفقيرة هى التى لا تعرف فى حياتها الزوجية غير الوفاء كل الوفاء ، والمحبة كل المحبة ، فهى الشريكة الكاسبة التى هى نعم الزوجة ونعم الخادمة الأمينة ، ونعم الولود التى ليس لها قرة عين إلا أبناءها . إنها المعنية بقوله تعالى : « خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » .

البناء بالغنيات كثيراً ما يكون سبب القلق والمتاعب ، وبلبلة الخواطر ، وفقد الثقة والاطمئنان ! ! وإذا فقدت الثقة والاطمئنان فى الحياة الزوجية كانت جحيما لا يطيق احتماله إلا المضطر الراغم أنفه الكسير جناحه .

أما السبب الثانى فى بنائه بها فهو مقابلة الجميل بمثله ، فوالدها قد علمه ، وقد تخرج على مبارك على يديه قبل أن يسافر إلى فرنسا ، وأتحدى من يدلنى على ثان لعلى مبارك كان السبب فى زواجه أن معلمه قد مات وترك بنتا فقيرة ، فأراد كعلى مبارك أن يرد له الجميل وهو فى قبره فتزوج بابنته التى لم يترك لها أبوها خردلة . وهل أسمى هذا وفاء ليس غير ، أو أضع له أسلوباً جديداً هو ( الفناء فى الوفاء ) ؟

إن على مبارك يضع للزمان وأهله دروساً فى الأخلاق الفاضلة ؛ وإن كان هذا فناءه فى وفائه — كما يفنى الصوفيون فى محبة الله — لمن أحسن إليه ثم مات فما ظنك لو أن معلمه عائش لم يمت ! ؟

أشهد أن الدنيا بخير لو جاء لها على رأس كل مائة سنة — أى قرن كامل — رجل مثل على مبارك ، بعد أن صارت أغلب مسارب الحياة جحوداً ونكرانا للجميل ، وإيذاء للمحسنين و (اتق شر من أحسنت إليه) .

وهل خير للتربية الصالحة فى اصلاح النشء أن تقرأ لهم كتاباً فى الأخلاق على الطريقة المثالة ، أو أن تضرب لهم الأمثال الواقعية كالمثل الذى سقته إليك فى حديثى هذا ؟

إن أفضل الإرشاد بصفة عامة ما كان قوامه ضرب الأمثلة الواقعية « وتلك الأمثال نضربها للناس » وصدق الله العظيم .

* * *

انتهت قصة زواجه الأول . وإليك قصة زواجه الثانى بعد أن ماتت زوجته الأولى . وهو يحدثنا عن ذلك بقوله :

« ... ومما اتفق لى أننى تزوجت قبل سفرى هذا (كان ممن اختيروا للسفر لمساعدة الدولة العلية ضد روسيا فى حرب القرم سنة ١٢٧٠ هـ) بعد موت زوجته الأولى — بقريبة أحمد باشا طوبسقال ، وكانت ذات مال وعقار . وكانت غرة يتيمة بمنزلة الطفل الصغير ، لا تحسن التصرف ، ولا تميز الدرهم من الدينار . . . وكان جميع أمرها بيد غيرها ، والسبب فى ذلك أن أمها كانت قد تزوجت برجل يعرف براغب أفندى ، فماتت الأم ، وبقيت البنت عنده ، يتيمة صغيرة ، فتزوج بامرأة خرى ، وكانت المرأة لا تطلعها على شىء ، ولا تمكنها من شىء ، فلما دخلت بها خافت المرأة ومن معها أن أطمع فى أموال هذه اليتيمة أو أعرفها بحقوقها فتطالب بها .

وهنا يروى قصة طويلة فى حرب هذه المرأة وزوجها له ، ورشوة الأغوات وجوارى السراى والحشم الذين كان لهم نفوذ كبير على الناس فى تلك الأيام ، وقد رأى أن النزاع سيطول ، وأنهم يذيعون عنه أنه لم يتزوجها إلا ابتغاء مالها وثرائها مع أنه يقول فى روايته هذه القصة ما نصه :

« ... وقد بنيت بيتها من مالى ، وصرفت عليه نحو ستمائة كيس وكان موقوفا عليها .. »

إذن فلقد كان زواجه بهذه البلهاء الثرية إنقاذاً لها من أن يؤكل مالها بالباطل أكلا لما . وقد خلقها الله ناقصة التفكير فأراد أن يضع لها الحق فى موازينه ، ويمتعها بمالها المنهوب ولكنه خشى أن يصدق الناس فيه ما يشيعه عنه الأغوات وغير الأغوات ، الذين كانت لهم رُشا ( جمع رشوة ) وسرقات . من هذا المال يتمتعون به — حراما — من هذه المرأة وزوجها اللذين يخشيان كل الخشية أن تفر هذه البقرة الحلوب ، وهذه البنت البلهاء من يديهما فيضيع عليهما موردهما فى الحياة فترك زوجته وترك لها منزله الذى بناه فى أيامها ووقفه عليها .

ليس أدل على أن على مبارك أراد الجانب الإنسانى البحت فى هذا الزواج الثانى — أيضا — من أنه بنى لزوجته الغريرة هذه بيتا من ماله الخاص ، ووقفه عليها حتى لا تضيعه ببلهها كما يضيع مالها الخاص ، ولذلك سهل عليه أن يتركها لحال سبيلها لما رأى أن بقاءها معه سيشوش عليه حياته ، ويعطله عن إصلاحاته ، التى وهب لها حياته كلها . مع أن المال معبود الناس كما قال شوقى :

والمال مذ كان — معبود يطاف به ... والناس مذ خلقوا عبّاد تمثال

ولكن : لا : فليس على مبارك من الذين يأسرهم مال الغير حتى ولو كان مال الزوجة كما فى هذه القصة . ويحضرنى بيتان من الشعر فى المال ، لا يسيران مع رأى شوقى فيه . وإنما يعبران عن رأى على مبارك فى المال ومآخذه . قال الشاعر :

لا أستسيغ العيش لم أدأب له ... طلبا وسعيا فى الهواجر والغلس
وأرى حراما أن يواتينى الغنى ... حتى يحاول بالعناء ويلتمس

* * *

أما زواجه الثالث فلقد كان هو الدائم له ، لأن زوجته لم تمت كالأولى ، ولم يكن وراءها جلبة ولا جلجلة كما كانت زوجته الثانية .

حيّا الله ذكرى على مبارك ، فلقد كان إنساناً كريما ، كما كان مصلحاً عظيما . بلغ بإنسانيته أفقاً لم يصل إليه أحد إلا نزراً ، واطّرد إصلاحه فى كل ما وليه من شئون . فنعم الرجل ، ونعم تاريخه وسيرته .

حسن الشيخ

# الإسلام والاستعمار

## (١)

إن الاستعمار اليوم يقاتل فى سبيل البقاء بعد أن اشتعلت الثورات ضده فى كل مكان . فى كل طرف من أطراف العالم الإسلامى بصورة مزعجة جعلت المستعمرين يفقدون أعصابهم و يدافعون عن آخر أمل لهم فى البقاء بين شعوب قد عقدت العزم على التحرر والتضحية فى سبيل الخلاص و إن كنا نحن فعلا — و بعد مرور أكثر من مائة وخمسين عاما منذ بدء هذا الزحف الاستعمارى على الشرق — على وشك إعلان تصفية هذا الأخطبوط الغادر الذى يطلق عليه كذباً اسم « الاستعمار » وهو من أسماء الأضداد . إذ متى كان الاحتلال بظلمه وطغيانه وتعسفه واعتصاره لأقوات الشعوب وخيراتها معمراً أو مستعمراً وهو آلة الخراب وأداة الدمار ؟

* * *

ظهر الإنجليز عسكرياً وسياسياً فى البحر الأحمر عام ١٧٩٢ وفى عام ١٨٣٦ احتلوا عدن — أى بعد ست سنوات من احتلال الفرنسيين للجزائر الذى تم عام ١٨٣٠ — ثم توالت زحوف الاحتلال على الشرق الإسلامى .

ولا يمكن الفصل مطلقاً بين الإسلام والاستعمار فقد كان الاستعمار منذ اللحظة الأولى يريد أن يقاوم و يحطم هذه الروح القوية الكامنة فى الشرق والتى استطاعت أن تقيم امبراطورية ضخمة فى أقل من قرن من الزمان بفضل التعاليم التى حملتها رسالة الإسلام إلى العالمين . وامتدت فى غزوها إلى أطراف الصين و إلى أن بلغت الأندلس وتعدتها موغلة فى أوربا إلى نهر اللوار وروما . .

فكان الهدف الأول للاستعمار هو تمزيق هذا الجسد الموحد و إثارة نزعات

القومية والقبلية والدينية والمذهبية . وشغل كل قطر بأزمات ومؤامرات لا تدع معها مجالا للتوحد أو الترابط .

وتغلغلت روح الاستعمار فى المدرسة والمجتمع والمنزل وانتظمت ميادين الفكر والثقافة فسادت روح من الشك والتحلل والتنكر لأمجاد الماضى والاستهانة بأخطار الاحتلال وآثاره .

وتمزقت هذه المنطقة الضخمة بهذا التناحر الاجتماعى والصراع السياسى إلى وحدات وشعاب ، وظهرت أزمات وزعامات وخلافات ، وأضحى الشرق الإسلامى بعد قليل من الزمن أتونا تتصارع كل أجزائه . وألقى فى روع الناس أن كل توحد يعد تعصباً ، فهو أمر غير مرغوب فيه ، وكان على الحكام الذين اختارهم الاستعمار فى هذه الفترة أن يسلموا و ينفذوا نصائح القناصل .

وعرف الاستعمار بالخداع والتضليل فى الوعود والمعاهدات والاتفاقات التى يعقدها والتى تقوم بين جانبين غير متكافئين وتعقد فى ظل الأساطيل وقوات الاحتلال .

ولقد كبل الغرب الشرق بقيوده من معاهدات سياسية ، وارتباطات اقتصادية وقواعد وموانىء . ولكن الشرق لم يقف مكتوف الأيدى إزاء الاستعمار فقد ظل ثائراً متمرداً مكافحاً . وقدم ضحاياه وشهداءه من خيرة أبنائه ؛ هؤلاء الذى ضربهم الإنجليز والفرنسيون بالقنابل ورفعوهم على أعواد المشانق .

إن ثورة عبد القادر وعبد الكريم فى المغرب . وعمر المختار فى ليبيا وعرابى وثورة ١٩١٩ وثورة ١٩٣٥ والثورة الكبرى فى ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢ وثورة المهدى فى السودان و يعقوب فى التركستان والعرب الذين شنقهم جمال السفاح سنة ١٩١٥ والثورة العرابية عام ١٩١٧ ومعركة ميسلون وثورة العراق وثورات فلسطين سنة ١٩٢٣ — ١٩٢٩ ، ١٩٣٥ وشامل فى القوقاز وسوكارنو وحتى فى أندونيسيا كلها أدلة على أن المرجل الإسلامى ظل يغلى ، وأن الأمة الإسلامية لم ترض بالذبح ، ولم ترضخ إلى الاستعمار .

وفى خلال ذلك حار بنا الاستعمار بالتبشير الذى هاجم الشرق هجوماً عنيفا ،

وأنفق الأموال الضخمة واتخذ أوكاره فى المدارس والمستشفيات والملاجئ وامتد خطره من الدار البيضاء غربا إلى الصين شرقا .

وأوقف الاستعمار الغربى التبادل الاقتصادى بين دول الشرق الإسلامى ، ووضع قيوداً شديدة اقتصادية وسياسية للانتقال والتصدير وحصر معاملات كل قطر مع الدول المحتلة وحدها .

والاستعمار هو الذى فرض الظهير البربرى على المغرب (١٦ مايو ١٩٣٠) ليقضى على الوحدة والعروبة واللغة العربية والإسلام بهذه البلاد .

وهو الذى أثار الخصومات بين القادة والزعماء وخلق فى كل وطن أكثر من زعيم وجبهة وحزب .

وهو الذى ألقى بمشروعات وهمية فى سبيل تركيز مطامعه ، كمشروع الهلال الخصيب وسوريا الكبرى .

وهو الذى أنشأ « إسرائيل » فى قلب الأمة العربية ومكن للصهيونيين فيها لتكون شوكة ضد العرب والمسلمين .

وهو الذى شرد أهل قطر بأسره هم « الفلسطينيون » الذين أصبحوا لاجئين .

وهو الاستعمار الذى خلق حزب الأمة فى مصر ومدرسة سعد زغلول التى تمزقت إلى أحزاب وأحزاب . وهو الذى أرث الخلافات والخصومات بين بيوت العرب القديمة .

وهو الاستعمار الذى ابتدع نظرية التبادل والتغطية عند ماعقد اتفاق عام ١٩٠٤ بين فرنسا وبريطانيا وأطلقت كل منهما يد الأخرى فى القطر الذى تحتله : بريطانيا فى مصر وفرنسا فى المغرب .

وهو الاستعمار الذى أثار الخلافات القديمة التى قامت بين المسلمين فى عدد من الأقطار وأحياها . ثم مزق الأقطار إلى أجزاء .

وهو الذى صنع «لجان التحقيق» لتكون وسيلة لخداع الشعوب وتخديرها وتضليلها

وهو الذى أنشأ عصبة الأمم ثم هيئة الأمم لا لخدمة الشعوب الصغيرة المحتلة بل لتنظيم هذا الاحتلال .

وهو الاستعمار الذى خدع المسلمين والعرب وأهل الشرق فى الحرب الأولى بنظرية حق تقرير المصير التى دعا إليها ولسون . و بنظريات الحريات الأربع فى الحرب العالمية الثانية .

وهو الاستعمار الذى دافع عن فاشوده حين هاجمتها القوات الفرنسية وقالت بريطانيا إنها من أملاك مصر . فلما جلت فرنسا عادت فاحتلتها لحسابها هى .

وهو الاستعمار الذى أغرى مصر بالاستدانة حتى وضعها تحت نير الاستعمار وفصل بين تركيا ومصر . وعاونت بريطانيا إيطاليا فى مهاجمة ليبيا ثم تآمرا على سلخ واحة جغبوب من مصر لأن مجاهدى طرابلس كانوا يلجأون إليها باعتبارها حصنا مصريا .

وانضمت فرنسا لأسبانيا فى حرب الريف ١٩٢٦ لهزيمة الجزائر بقيادة عبد الكريم

***

وفى كل ثورة قامت فى الشرق الإسلامى حاول الاستعمار أن يضع الماء على نارها ولم يثبت مطلقا أن الاستعمار رفع مستوى قطر من الأقطار التى احتلها .

وعمد الاستعمار إلى خلق طبقة معينة من أذنابه فى كل قطر ، يسلم إليها مقاليد الحكم عند ما يعلن استقلال هذه الأوطان ثم يختفى وراءها و يحركها من وراء ستار

وفى الوقت الذى حرض العرب الشريف حسين على إعلان الثورة على الأتراك عام ١٩١٧ وأعلنوا تأييدهم المطلق له وأكدوا وعودهم الضخمة . . ما إن أعلن الثورة حتى تركوه . . وتخلوا عنه وحاولوا أن يحصروا الثورة فى أضيق نطاق .

وقد كان الإنجليز يعملون ذلك كخطوة أولى لجمع المنطقة العربية كلها تحت نفوذهم وتقسيمها فيما بينهم .

وكان الاستعمار ينظر إلى احتلال العالم العربى كجزء من برنامج قديم قام به الفرنجة فى الحملات الصليبية القديمة فإن واحداً من زعماء الاستعمار ما كاد يدخل دمشق حتى زار قبر صلاح الدين الأيوبى . . وقال : هانحن قد عدنا ياصلاح الدين ، صلاح الدين الذى هزمهم وأخرجهم من الشرق الإسلامى .

وفى الحرب بين الماضيتين احتل الاستعمار جميع موانى الشعوب وسواحلها ومطاراتها واستغل تموينها وخيراتها لحساب جيوشه .

وعمل الاستعمار على عصر العالم الإسلامى مرتين : المرة الأولى باستغلال خيراته و بتروله ومواقعه الاستراتيجية وخاماته وثرواته الطبيعية وحرمان أصحابها منها . وفى الوقت نفسه اتخاذ هذه الأقطار أسواقاً لتصريف منتجاته .

وخدع الاستعمار الناس بأسماء متعددة : الانتداب والوصاية والدومنيون والحكم الذاتى ، وقال ولسون فى مبادئه التى أعلنها فى ٨ يناير سنة ١٩١٨ : لا يصح لأمة أن تكره أمة أخرى على اتباع سياستها . و إنما يجب أن يترك لكل شعب الحق فى تقرير سياسته ورسم طريقه الذى يراه مؤدياً إلى التقدم دون إحراج أو تهديد أو إرهاب لافرق فى ذلك بين شعب ضعيف وشعب قوى .

فإلى أى حد نفذت شعوب الغرب المستعمرة هذا الكلام البراق المعسول .

وقالت بريطانيا وأمريكا فى «ميثاق الأطلنطى» الذى عقدتاه فى ١٤ أغسطس عام ١٩٤١ « عدم رغبة الدولتين فى التوسع الإقليمى وعدم سماحهما بوقوع تعديلات إقليمية إلا بناء على رغبة الشعوب التى تقع فيها هذه التعديلات ، واحترامهما لحق كل شعب فى اختيار شكل الحكومة الذى يرتضيه » وأعلنتا الحريات الأربع « حرية القول والرأى . حرية العبادة ، حرية التحرر من الفقر والخوف ، حرية التحرر من الظلم والاستبعاد » .

فهل طبقت الدول المستعمرة المضللة هذا الكلام الأجوف .

وأرسل الاستعمار رجالا من رجاله ليخدعوا العرب باسم الصداقة : من هؤلاء فيلبى ولورنس و بلنت وسيبرس .

* * *

وقد كشف الشرق الإسلامى عن كل هذه الخدع وعرفها . ولم يستسلم يوماً ، فعاش فى حرب دائمة وصراع مستمر .

وأشرق فى الشرق ضياء جديد ، و بدأ العالم الإسلامى يختار حكامه وقادته

(البقية على صفحة ٦٣)

ركن الأوقاف :

## يحرره : توفيق مصطفى

عضو نقابة الصحفيين

« إن ينصركم الله ، فلا غالب لـكم . . . »
( قرآن كريم )

لا بدّ لهذا الركن من كلمتين . . . الأولى : تحية وشكر ، للسيدين الوكيلين السابقين ، على ما قاما به من خدمات للوزارة ، وقدماه لها . . . والثانية : تحية وتهنئة ، للوكيل الجديد المهندس إبراهيم عسكر ، ودعوات طيبات له بالتوفيق . . . وما من شك فى أنه اختيار صادف أهله . . . وحسناً فعل السيد الوزير .

* * *

إن أول إجراء اتخذه الوكيل الجديد قراره بتحسين حالة ممرضات مستشفيات الوزارة ، تصحيحاً للوضع الذى ارتضاه الأولون ببقاء مرتب الممرضة ٢٥٠ قرشاً ، أى أقل من الحد الأدنى الذى قرره مجلس الوزراء لمرتبات موظفى الدولة ، ووعد الوكيل كذلك بإجراء تسوية تنظم بمقتضاها درجاتهن فى الميزانية القادمة ، وهو عمل يسجله الركن له بالتقدير والامتنان .

* * *

وللمستشفيات كلمة ، ولـكن هناك كلمة أولى بالتقديم تلك الروح الطيبة التى بدت فى صفوف السادة أئمة المساجد الذين شاركوا فى التعبئة العامة ، وفى كتائب جيش التحرير للظفر ، للزحف المقدس ، وإعلانهم الاستعداد الـكامل لحمل السلاح ، دفاعاً عن الوطن ، واستقلاله ، وقرارهم الواضح الذى أبان لنا أن القتال لنصرة الأمة ، وصون مصالحها ، هو جهاد فى سبيل الله ، وأن الموت فى ساحة الشرف استشهاد فى سبيله .

ولاحظ محرر الركن إقبالا شديداً من جانب رجال المساجد لنيل هذا الشرف ، وهى خطوة طيبة يسجلها الركن بمزيد من الإعجاب والتقدير .

***

ونعود إلى المستشفيات فنقول إن السيد الوكيل وضع مشروعاً يرمى إلى سد العجز فى عدد الممرضات بمستشفيات الأوقاف ، مشروعاً حقيقياً ، لا خيالياً ، إذ رأى توسيع مدرسة الممرضات ، توسيعاً يستوعب العدد الأكبر الذى تحتاجه مستشفياتنا الآن منهن ، بحيث لا يقل عدد من تسعهن المدرسة عن مائة طالبة .

إن هناك مشروعاً تفكر فيه الوزارة الآن بوضع ( جرس ) بين كل سريرين ، زيادة فى الخدمة ، فإذا ما احتاج المريض كوباً من الماء ، ضغط على ( الزر ) ليأتى إليه الممرض بحاجته ، وسيصحب ذلك بالطبع تفتيش مفاجىء ليلا أو نهاراً من جانب الأطباء على سائر أقسام المستشفى للتأكد من وجود الممرضين إلى جانب مرضاهم .

وفى الإسكندرية حيث يوجد مستشفى خفر السواحل تقرر إضافة طابق علوى إليه ، وتهيئته للعمل قريباً ، وتقديراً من الوزارة لجنود خفر السواحل سيفرد لهم قسم خاص للاشراف على علاجهم .

وتقرر أن تجهز غرف العمليات فى جميع الوحدات الطبية بآلات تكييف الهواء ، وتقرر كذلك إجراء تعديل شامل فى طريقة إعداد وتقديم الأغذية ، بتعديل مطابخها تعديلا يتفق مع التطور الحديث .

بقى موضوع الأثاث اللازم لهذه المستشفيات ، وهو سوف يجدد قريباً ، وحسب الفائض له بالميزانية ، و إن كان ضئيلا . . .

***

حقاً ، إنه لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ، و إذا كنا قد أخطأنا فى طريقة تصدير الأغذية فى الماضى ، فسوف لا نلدغ مرة أخرى ، ورب ضارة نافعة . . . فلقد

شرعت الوزارة فى إقامة مراكز لتعبئة الفواكه والخضر فى تفاتيشها الزراعية ، تجهز بأحدث الآلات ، والثلاجات صيانة لهذه المحاصيل من التلف . وسوف تصل منتجاتنا إلى الخارج سليمة من كل عيب ، إن كل برتقالة تصل لأسواق أوربا تالفة هى أسوأ دعاية لنا ، فى بلاد أصدقاؤنا فيها قلة ، والمشروع الجديد سيقضى على كل ارتجال ، وسيحمى منتجاتنا من أى تلف .

***

ويبدأ قريباً موسم الحصاد ، وجنى الذهب الأبيض ، وقد بذلت تفاتيش الزراعة هذا العام من الجهد ما أدى إلى تخفيض نسبة الإصابة بلطع دودة ورق القطن ، وإن كانت الإصابة فى بعض تفاتيش الوجه البحرى قد زادت خلال هذا الموسم زيادة كبيرة ، إلا أنها أقل فى المجموع من مجموع إصابات الموسم الماضى ، وهو مجهود يسجل بالشكر ، وسوف توزع المكافآت المرصودة فى الميزانية على كل من ساهم فى أعمال المقاومة .

***

ولنتحدث عن الأوقاف نفسها ، والتشريع الذى يراد به وضع خاتمة لأربع سنوات خلت منذ صدور قانون حل الأوقاف الأهلية للآن ، هو تشريع جاء متأخراً صدر قانون الحل عام ١٩٥٢ ، هذا الحل ، الذى ظل بلا حل ، فبقيت الأوقاف فى حراسة الوزارة إلى اليوم . . وكنا قد نادينا من قبل ، بضرورة التعجيل بتنفيذ هذا القانون ، إذ ما فائدة قانون يصدر ، ونعجز عن تنفيذه ؟ ! . . إننا نرجو أن يكون فى مشروعنا الجديد ، الحل المطلوب لهذه المعضلة ، معضلة الوقف الأهلى .

والوقف الأهلى — الخيرى ؛ والوقف الخيرى ؛ كل هذه الأوقاف ، لابد لها من تنظيم ، لتتفرغ الوزارة لرسالتها ، ويذهب المستحقون فى الأوقاف الأهلية بأنصبتهم فيها ، وبذلك نضع خاتمة لقصة الوقف ، ونبدأ نحن فى تكريس جهودنا

لتنفيذ ما لدينا من برامج إنشائية سيكون لها أثرها البعيد فى ميادين العمل المثمر ، والإنتاج الوفير .

***

ولابد للعمل المثمر من تنظيم دقيق ، وهذا ما قرره الوكيل الجديد ، فأعاد تشكيل هيئات ولجان ومجالس التأديب والاستبدال ، والبت وغير ذلك من اللجان التى كان لابد من تعديلها تعديلاً يضمن العدالة المطلقة .

***

ورغبة فى بلوغ الصواب ، وتصحيح ما مضى من أخطاء رأى وكيل الوزارة أن يستطلع رأى الأقسام والإدارات فى أهم ما تهدف إليه من رغبات للنهوض بها ، واتجاهات كل منها للتعرف على سياسة كل منها ، أو سياستها إن كانت موحدة . بغية إجراء تنظيم جديد لها يحقق التناسق المطلوب والتفاهم الذى يجب أن يسود الأقسام ، ونبذ ما بينها من فرقة ، فكفانا فرقة وانقساما . ماذا بقى لنا بعد أن تفككت الأسرة ، وتفرقت ، وجب علينا الآن أن نجمع الشمل ، ونسير معاً ، صفاً واحداً ، متكاتفين ، متعاونين ، نحو الهدف المطلوب .

إن من الأهداف التى ينادى الركن بتحقيقها ، توفير حياة رغدة للمواطنين ، وتوفير السكن الصحى الرحب الرخيص لهم ، واليوم إذا كانت الوزارة تميل إلى التمسك بفئاتها الحالية ، فإن محرر الركن قد لاحظ أنها خرجت عن هذا التمسك قليلا ، ولكن ليس فى شقق العمارات الحديثة ، وإنما فى دكاكين تلك العمارات ، فخفضت ٢٠٪ من إيجار دكاكين عمارة النقشبندية التى ستشهر بعد أربعة أيام ، أى فى الرابع من صفر ، والتاسع من سبتمبر ، فعسى أن يتبع ذلك الأخذ بنظرية الركن فلا معنى مطلقاً ، لأن نحصل تكاليف العمارة فى ١٨ عاماً ، فى حين أنها تعيش بحالتها نصف قرن ، إن لم يكن القرن كله !

***

لقد أعجبنى التعديل الذى رآه السيد الوكيل بالنسبة لسياسة الترقيات والتنقلات ، لقد وضع لها ضماناً وسياجاً . الغرض منها تحقيق المصلحة العامة ، لا تغلب عليها المصلحة الخاصة ، فأرقى هذا ، وأقربه ، لقرابتى له . . أو أبعد ذاك ، وأشرده ، لعدائه لى . . لقد مضى العهد الذى كان الناس فيه يتدخلون فى أمور غيرهم تدخلاً معيباً ، بغية النفع لهم ، والإضرار بغيرهم .

إن الركن ليستبشر خيراً بتعيين السيد المهندس إبراهيم عسكر وكيلا لهذه الوزارة وإن كان العبء الذى ألقى على عاتقه ثقيلا .

إن الركن ليرجو له التوفيق ، إن السياسة التى يكتب الله لها التوفيق هى السياسة الحكيمة ، تلك التى نرجوها لوزارة الأوقاف التى خرجت من عزلتها إلى عالم النور . وإلى اللقاء فى الركن القادم مع أول ربيع الأول إن شاء الله .

---

( بقية المنشور على صفحة ٥٨ )

ورجاله ، وبدأ الغرب المستعمر يتلقى الضربات من كل مكان ، وتصدع بناء الاستعمار نتيجة للروح القوية الحية التى سادت الشعوب :

والعجيب أن الاستعمار لم يواجه نفسيات الشعوب مواجهة صحيحة .

فإن هذه الشعوب التى استيقظت لم تعد لها قدرة على احتمال المناوآت

وكشفت الشعوب عن خداع المستعمرين وبدأت تعلن العداء الفعلى له ، وعاون على ذلك أن العرب والمسلمين تلفتوا إلى حقيقة واضحة ، هى دعم قوتهم المعنوية بالقوة المادية فبدأوا يتسلحون ويدعمون مراكزهم . وبدأ الاستعمار يتراجع ويضيق ولكن فى بطء وأخذ يغير أساليبه ولكن فى غرور المهزوم ، وفى حماقة من يرى المطامع الكاذبة التى أخذها غدراً وظلماً تنفلت من يده واحدة بعد أخرى . . . فإذا هو صفر اليدين .

أنور الجندى

# الفهرس

صفحة


هداية القرآن :

الثقة بالأعداء مطية الهلاك : لفضيلة الاستاذ أحمد حسن الباقورى وزير الأوقاف ١

أسرار الشريعة :

الإسلام فى مجال السلم والحرب : للسيد الأستاذ عبد الكريم الخطيب ... ... ٧

الرسول المعلم : للسيد الأستاذ البهى الخولى ... ... ... ... ... ... ... ١٣

ملامح المجتمع الإسلامى : لفضيلة الشيخ أحمد الشرباصى ... ... ... ... ... ٢٣

أعلام الإسلام :

موسى بن نصير ( ٢ ) : للسيد الأستاذ محمد رجب البيومى ... ... ... ... ٢٩

طرائف :

من القديم : للسيد الأستاذ م . ج ... ... ... ... ... ٣٢

المنبر العام :

موسى وبنو إسرائيل : لفضيلة الشيخ جاد المولى سليمان ... ... ... ... ... ... ... ٣٩

مرحباً بالمعركة : لفضيلة الشيخ محمد الغزالى ... ... ... ... ... ... ... ٤٤

من المثل العليا فى بناء الأسرة : للسيد الأستاذ حسن الشيخة ... ... ... ... ... ... ٥٠

قضايا العالم الإسلامى : للسيد الأستاذ أنور الجندى ... ... ... ... ... ٥٤

ركن الأوقاف : للسيد الأستاذ توفيق مصطفى ... ... ... ... ... ... ... ٥٩

مطابع دار الكتاب العربى بمصر
محمد حلمى المنياوى